

نصر بن أحمد البصري الخبز أرزي المتوفى سنة ٣٣٠هـ

حياته وشعره



الدكتور

مصطفى حسين عناية

أستاذ مادة الأدب بجامعة أم القرى / مكة المكرمة



٢٠١٥

نصر بن أحمد البصري الخيزأري

المتوفى سنة 330هـ

حياته وشعره

الدكتور

مصطفى حسين عناية

أستاذ مادة الأدب بجامعة أم القرى / مكة المكرمة

عالم الكتب الحديث

Modern Books' World

إربد - الأردن

2015

الكتاب

نصر بن أحمد البصري الخبز أرزي حياته وشعره

تأليف

مصطفى حسين عناية

الطبعة

الأولى، 2015

عدد الصفحات: 362

القياس: 24×17

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية

(2014/6/2779)

جميع الحقوق محفوظة

ISBN 978-9957-70-869-6

الناشر

عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع

إربد- شارع الجامعة

تلفون: (27272272 - 00962)

خلوي: 0785459343

فاكس: 27269909 - 00962

صندوق البريد: (3469) الرمزي البريدي: (21110)

E-mail: almalktob@yahoo.com

almalktob@hotmail.com

almalktob@gmail.com

الفرع الثاني

جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع

الأردن- العبدلي- تلفون: 5264363 / 079

مكتب بيروت

روضة الغدير- بناية بزي- هاتف: 471357 1 00961

فاكس: 475905 1 00961

المحتوى

الصفحة	الموضوع
1	المقدمة
5	الباب الأول
	بيئة الخبزارزي وحياته
7	الفصل الأول: بيئة الخبزارزي وحياته
9	(1) الحالة السياسية
14	(2) الحالة الثقافية
19	الفصل الثاني: حياة الخبزارزي
21	(1) نشأته
24	(2) وفاته
26	(3) ثقافته
29	(4) صلته برجال عصره
39	الباب الثاني
	شعر الخبزارزي
41	الفصل الأول: مصادره ، ورواته ، واختلاطه واضطراب روايته
43	1- مصادر شعر الخبزارزي
65	2- رواة أشعاره
69	3- اختلاط شعره واضطراب روايته
87	الفصل الثاني: موضوعات شعره
90	المديح
108	الحكمة
117	الوصف
123	الغزل
140	العتاب والاعتذار

الصفحة	الموضوع
148	الهجاء
151	التهنئة والهدايا
155	الرثاء
156	المجون
157	الفصل الثالث : خصائص شعر الغبزارزي الفنية العامة
159	تأثره بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف
174	المعاني والصّور
202	التجسيم
206	البديع
228	الحوار
231	الموسيقا
245	اللغة
257	التكرار
265	وحدة القصيدة
270	بعض عيوب شعره
277	الفصل الرابع : ديوانه وآراء النقاد في شعره
279	ديوانه
283	آراء النقاد في شعره
285	الخاتمة
291	ملحق رقم '1'
335	ملحق رقم '2'
351	المصادر والمراجع

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد:
فقد ظهر في العصر العباسي جماعة من شعراء الطبقة العامة في المجتمع، ونجد بين شعراء هذه الطبقة شعراء أميين يجيدون نظم الشعر؛ وربما كان أهم هؤلاء الشعراء: نصر بن أحمد الخبزارزي، فقد كان أمياً لا يقرأ، ولا يكتب، وقد أحرز لقب: الخبزارزي، من حرفته؛ فقد كان خبازاً يخبز الأرز بـدكان له في مريد البصرة، وقد كان الناس يزدهمون عليه، ويتطفون باستماع شعره، وقد خالط شعراء البصرة، وأدباءها، ومدح ولاتها، وقضاتها، ثم انتقل إلى مدينة بغداد، وهناك جُمع ديوانه، وقرئ عليه.

والحقيقة أنّ هذا الشاعر - على الرغم من استشهاد كثير من أصحاب كتب التراث بشعره، وإجماعهم على أنه كان رقيق الشعر، مطبوعاً عليه، مجوداً فيه - لم ينل ما يستحقه من اهتمام الدارسين في الأدب العربي، وقد كان جرجي زيدان أول الدارسين المحدثين الذين أشاروا إليه وإلى شعره، وذلك في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية، وقد أشار إليه، بعد ذلك، الدكتور شوقي ضيف في كتابه: العصر العباسي الثاني والشعر وطوابعه الشعبية على مرّ العصور. ولا تزيد الصفحات التي كتبها جرجي زيدان، وشوقي ضيف عن حياته وشعره، على عشر صفحات، ويكاد الكلام عنه يكون واحداً في هذه الكتب الثلاثة.

وخدمة للتراث العربي، وإضافة إلى المكتبة العربية، رأيت أن أقوم بتحقيق ديوانه تحقيقاً علمياً دقيقاً وموثقاً، ثم جمع ما تناثر من شعره في كتب التراث، ولم يرد في الديوان، وأجعله ذيلاً للديوان.

وإنصافاً لهذا الشاعر، الذي كان يمثل أحسن تمثيل الطبقة الشعبية في عصره، وتصحيحاً لبعض المفاهيم عن شعره، ولأنّ شعره لم يدرسه الدارسون - في حدود علمي - فقد رأيت أن أقوم بدراسة مفصلة عن حياته وشعره.

وأرجو أن أكون - بهذا التحقيق لشعره، وبهذه الدراسة لحياته وشعره - قد قدّمت عملاً متواضعاً يسهم في إحياء التراث العربي.

وقد رأيت أن أسلك في دراستي لحياة الخبزأرزي وشعره نهجاً علمياً يتناسب مع طبيعة الموضوع التي اقتضت تقسيمه إلى بابين:

سأتناول في الباب الأول دراسة حياة الخبزأرزي، وسيكون في فصلين: أتحدث في الفصل الأول عن عصر الشاعر من الناحيتين: السياسية والثقافية. أما الفصل الثاني؛ فسأخصصه لحياته، فأتحدث عن: نشأته، واسمه، ولقبه، وثقافته، ووفاته، وصلته برجال عصره.

وسأخصص الباب الثاني لشعره، وسأجعله في أربعة فصول: سأبدأ الفصل الأول بعرض مصادر شعر الخبزأرزي التي روت له أشعاراً غير موجودة في الديوان، وسأبين أهمية كل مصدر من حيث انفراده برواية قصائد له، أو أبيات دون المصادر الأخرى، أو من حيث سبقه في الرواية على غيره، وعدد الأبيات التي أوردها، وسأرتب هذه المصادر ترتيباً تاريخياً بحسب تواريخ وفاة أصحابها مبتدئاً بأقدمها منذ القرن الرابع وحتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري. وسأتحدث بعد ذلك عن رواة أشعار الخبزأرزي، وأذكر رواة شعره الذين ذكرتهم كتب الأدب.

وأشير بعد ذلك إلى ظاهرة اختلاط شعر الخبزأرزي، واضطراب روايته، وسأورد أمثلة على هذا الاختلاط والاضطراب.

أما الفصل الثاني؛ فسأخصصه للحديث عن موضوعات شعر الخبزأرزي، وسأبين خطأ الذين ترجموا له، وزعموا أن شعره كان مقصوراً على الغزل، وسأوضح أنه قد طرق ألوان الشعر المختلفة: من مديح، وحكمة، ووصف، وغزل، وعتاب، واعتذار، وهجاء... الخ، وسأتحدث بالتفصيل عن كل غرض من هذه الأغراض الشعرية المختلفة.

وسأنتقل بعد ذلك إلى الفصل الثالث إذ أتحدث عن الخصائص الفنية العامة في شعره، فأتحدث عن تأثيره بالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والمعاني الإسلامية بعامة، ثم أتحدث عن المعاني والصور في شعره، كما أتحدث عن التجسيم أيضاً، وسأتبع

ذلك الحديث عن الألوان البديعية في شعره، وعن الحوار، والموسيقا، واللغة، والتكرار، ووحدة القصيدة، وسأختم حديثي في هذا الفصل عن بعض عيوب شعره.

وسأفرد الفصل الأخير للحديث عن ديوانه، وعن آراء النقاد في شعره.

وأنهي هذا البحث بخاتمة أذكر فيها خلاصة النتائج التي توصلت إليها، وهي تعد تلخيصاً مجملًا لعناصر هذا البحث. وأحب أن أشير إلى أنني قد رجعت إلى كثير من المصادر القديمة، والمراجع الحديثة بمختلف ألوانها الأدبية، والبلاغية، والنقدية، والتاريخية، وسأثبت أسماء هذه المصادر والمراجع في ختام البحث، ولا أبالغ إذا قلت: إن ديوان الخبز أرزي كان المصدر الرئيس في هذا البحث.

وأخيراً؛ فلأنني أقول: إنني قد بحثت ما وسعني، ولم أوفر في ذلك الجهد والطاقة؛ فأرجو أن أكون قد حققت بعض ما قصدت إليه، وعملت من أجله، وإلا فعذري أنني طالب علم يخطئ ويصيب، وما الكمال إلا لله وحده، وفوق كل ذي علم عليم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه.

مصطفى حسين محمد عناية

أبها - رمضان - 1408هـ

الباب الأول

بيئة الخبزأرزي وحياته

الفصل الأول: عصر الخبزأرزي

(1) الحالة السياسية

(2) الحالة الثقافية

الفصل الثاني: حياته

(1) نشأته: اسمه، ولقبه ووفاته

(2) ثقافته

(3) صلته برجال عصره

الفصل الأول

بيئة الخبزأرزي

(1) الحالة السياسية

(2) الحالة الثقافية

الفصل الأول

بيئة الخبزارزي

الحالة السياسية

قال الشاعر:

خليفة الله في قَقَصٍ بين وصيفٍ وبغيا
يقولون ما قال له كما يقول البيغيا⁽¹⁾

وروي أنَّ المعتز بالله لما أخرجهُ التُّرك من السَّجَن، وولَّوه أمر الخِلافة سنة ثنتين وخمسين ومئتين من الهجرة، سئل المنجمون في أحد المجالس: كم يظلُّ المعتز خليفة للمسلمين؟ فقال أحد الظرفاء وكان بالجلس: أنا أعرفُ من هؤلاء المنجمين بمقدار خلافته وعمره، فقالوا له: فكم تقول إنَّه يعيش؟ وكم يملك؟ فقال: طالما أراد التُّرك ذلك. فلم يبقَ في المجلس أحد إلاَّ غلبه الضحك⁽²⁾. ولم يزل قائماً على أمر الخِلافة إلى أن خلعه الأتراك سنة خمس وخمسين ومئتين وهذا يدلُّ دلالة واضحة على تدهور الخِلافة في هذا العصر الذي اصطلح المؤرخون على تسميته بعصر النفوذ التركي، وقد أصاب البصرة في هذا العصر كثير من الولايات والمصائب لعلَّ أولها: ثورة الزنج التي تزعمها رجل زعم أنَّه من آل علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - والحقيقة أنَّه رجلٌ فارسي ولد في قرية يقال لها وَرْزَنين⁽³⁾.

وقد رحل إلى هجر البحرين حيث أحله أهلها من أنفسهم محلَّ النبي - فيما ذكر - ثم انتقل إلى البادية، وهناك ادَّعى أنَّ سحابة قد أظلمت فبرقت ورعدت، ووصل صوت الرعد

(1) مروج الذهب 4/ 61.

(2) تاريخ الفخري ص 181.

(3) الطبري 9/ 389.

منها بسمعه، فخطب فيه، فقل: اقصد البصرة، وقال لأصحابه: إني أمرتُ بصوت هذا الرعد بالمسير إلى البصرة، وقد قدم البصرة في سنة أربع وخمسين ومئتين، ووافق ذلك فتنة أهلية بين حين من أحيائها، فطمع في أحد الفريقين أن يميل إليه، ولكن خاب أمله، فلم يجبه أحد من أهل البصرة، ثم هرب إلى بغداد عند بعض أصحابه، ثم عاد إلى البصرة في سنة خمس وخمسين ومئتين، وأقام في قرية بالقرب من البصرة، وجمع حوله الزنج، الذين كانوا يعملون في كسح السباح، ومثاهم، ووعدهم بأن يخلصهم من أسيادهم، ويملكهم الأموال^(١). وقد كثرت إغاراته على مدينة البصرة وقراها، وكان يقول لأصحابه إنه اجتهد في الدعاء على أهل البصرة، وابتهل إلى الله في تعجيل خرابها، وخطب في أمرها، وقيل له: إنما البصرة خبزة لك تأكلها من جوانبها.

وقد هاجمها في سنة سبع وخمسين ومئتين في أثناء صلاة الجمعة وذلك من ثلاث نواح؛ فخربها وحرقها، وقتل أهلها، ومن بقي من أهلها اختفى ذعراً في الدور والآبار، وكانوا يظهرون بالليل فيأخذون الكلاب؛ فيذبحونها، ويأكلونها، وكذلك الفئران والسنائير، وأخفوها حتى لم يقدروا منها على شيء، وكانوا إذا مات منهم الواحد أكلوه وعدموا مع ذلك الماء العذب^(٢).

وقد بكى ابن الرومي مدينة البصرة، بعد نكبتها، بقصيدة فريدة، وقد بدأها بقوله:

شغلها عنه بالدموع السُّجَام	ذادَ عن مقلتي لذية المنام
رة ما حل من هنات عظام	أي نوم من بعد ما حل بالبصـ
ج جهاراً محارماً الإسلام	أي نوم من بعد ما هتك الزنـ
كساد أن لا يقوم في الأوهام	إن هذا من الأمور لأمر

وقد جهّز الخلفاء العباسيون الجيش تلو الجيش لحرب الزنج، ولكن دون جدوى، وكان الزنج في أثناء ذلك يغIRON على القرى المجاورة؛ فينهبون ويسرقون، ويحرقون، ويقتلون؛ وأخيراً، وفي سنة سبع وستين ومئتين جهّز الخليفة الموفق جيشاً عظيماً، وأسند

(١) انظر: البداية والنهاية، ج ١١.

(٢) مروج الذهب ١١٩/٤.

قيادته إلى ابنه المعتضد، فهاجم الزنج، وأوقع بهم خسائر فادحة، ثم جهّز الموفق جيشاً آخر قاده بنفسه، وقد اتخذ خطة للعفو عمّن يستسلم من الزنج، وقد نجح في خطته هذه؛ إذ استسلم كثيرون، ولما رأى أنّ الأمر سوف يطول، بنى مدينة في الجهة المقابلة لمدينة صاحب الزنج، أسماها: الموفقية، وقد جهّزها بجميع المرافق والأسواق، وأخذ يناوش جيش الزنج، ويغدق الأموال والهدايا على كل مستأمن، ويجري عليه الأرزاق، ويضمه إلى جيشه، واستطاع أخيراً دخول مدينة البصرة، وكان ذلك سنة سبعين ومئتين، وقد قتل الله منهم ما لا يحيط به الإحصاء، وغرق منهم في النهر المعروف بجوى كور مثل ذلك وحوى أصحاب الموفق مدينة الفاسق بأسرها، واستنقذوا من كان فيها من الأسرى من الرجال والنساء والصبيان^(١).

ثم قتل صاحب الزنج، وأحضر رأسه إلى الخليفة فأمر الموفق برفع رأس الفاجر على قناة، ونصبه بين يديه؛ فتأمله الناس، وعرفوا صحة الخبر بقتله، فارتفعت أصواتهم بالحمد لله^(٢).

وقد قال الشعراء في ذلك أشعاراً كثيرة، من ذلك قول يحيى بن محمد الأسلمي:

أقولُ وقد جاءَ البشيرُ بوقعةٍ أعزّت من الإسلامِ ما كان واهياً
جَزَى اللهُ خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ بعدما أبيضَ جمَاهمُ خَيْرَ ما كان جازياً

تَفَرَّدَ إذ لم ينصر اللهَ ناصِرٌ بتجديدِ دينٍ كان أصْبَحَ بالياً
وتشديدِ مُلكٍ قد وهى بَعْدَ عِزِّهِ وإذراكِ ثاراتِ تَبيدِ الأعادِيا

ورَدَّ عِمَارَاتٍ أزيلت وأخرِبت ليرجعَ فيءٌ قد تُخْرِمُ وافيَا
ويرجعُ أنصارُ أبيحت وأخرقت مراراً فقد أُمست قِواءُ عَوافيَا

ويُشفَى صدورُ المؤمنينَ بوقعةٍ يقرُّ بها منا العيونُ البواكيا

(١) الطبري 9/ 656.

(٢) نفسه.

ويُتلى كتابُ الله في كلِّ مسجدٍ ويُلقى دعاءُ الطالبين خاسياً
فأعرض عن أحبائه ونعيمه وعن لذّة الدنيا وأقبل غازياً⁽¹⁾
وبذلك تنتهي هذه الثورة التي دامت خمسة عشر عاماً.

القرامطة: ولكن ما كادت ثورة الزنج تنتهي، ويرجع أهل البصرة إلى مدينتهم، ودورهم؛ حتى تعرضت المدينة لمهاجمة القرامطة، ويبدو أنّ البصرة قد كتب عليها الشقاء، فإنه لم يمضِ على ما لاقت من السوء على دعي العلويين أكثر من خمس عشرة سنة⁽²⁾، وقد ابتدأ أمر القرامطة في سنة ثمان وسبعين ومئتين⁽³⁾. وفي سنة سبع وثمانين ومئتين أقبل قائدهم أبو سعيد الجنابي، يريد البصرة، فكتب واليها إلى المعتضد يخبره بالأمر؛ فأرسل إليه جيشاً بقيادة: العباس بن عمرو الغنوي، فهزمه الجنابي، وأسره، ونهب كل ما في المعسكر، وقتل جميع الأسرى، وحرّقهم وكان عددهم سبع مئة رجل، وقد اضطربت البصرة لذلك اضطراباً شديداً، وهم سكانها بالانتقال منها لخوفهم من هجوم القرامطة، ولكن واليها منعهم⁽⁴⁾.

وفي السنة التالية، أي في سنة ثمان وثمانين ومئتين قرب القرامطة من البصرة، واشتد خوف الأهالي حتى هموا بالهرب من مدينتهم⁽⁵⁾.

وفي سنة إحدى عشرة وثلاث مئة دخل القرامطة البصرة، وقتلوا واليها، ووضعوا السيف في أهلها، وحملوا منها الأموال والأمتعة والنساء والصبيان، ولم تسلم البصرة منهم، ومن أذاهم، إلا بعد موت زعيم القرامطة أبي طاهر سليمان بن الحسن الجنابي في سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة إذ ضعف شأن القرامطة، واضطروا أخيراً إلى الدخول في طاعة الخلافة العباسية وكان ذلك في سنة ثمان وخسين وثلاث مئة⁽⁶⁾.

(1) نفسه 9/ 663.

(2) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، للشيخ محمد الخضري: ص 319.

(3) الطبري 10/ 23.

(4) نفسه 10/ 78.

(5) الطبري 10/ 85.

(6) ابن الأثير 8/ 144.

وقد ابتلت البصرة - كذلك - بولاة ظالمين، وبقيادة أساءوا السيرة في أهلها، ومن هؤلاء: الحسن بن الخليل بن رمال الذي تقلد أعمال الحرب بها، حيث كانت تجري بينه وبين العامة فتن كثيرة، وفي سنة خمس وثلاث مئة، ثارت بينهم فتنة اتصلت أياماً كثيرة، واجتمع الجنود كلهم معه ضد سكان البصرة، وقد قتل من العامة خلق كثير⁽¹⁾.

ومنهم: أبو الحسن بن يزداد الذي تولّى أمر البصرة سنة خمس وعشرين وثلاث مئة، وقد أساء السيرة، وظلم أهلها⁽²⁾. وقد ذهب جماعة من أهل البصرة إلى البريدي وإلى الأهواز، فوعدهم، ومثّاهم، وأنفذ إلى البصرة ألفي رجل، واستولوا عليها، ثم أمر بإسقاط بعض ما كان ابن يزداد يأخذه من أهل البصرة حتى اطمأنوا، ثم عطف عليهم، فعمل بهم أعمالاً تمثّوا معها أيام ابن يزداد، وعدّوها أعياداً، كما يقول ابن الأثير⁽³⁾.

وأولاد البريدي هم: أبو عبد الله، وأبو يوسف، وأبو الحسين، وقد استولوا على الأهواز، والبصرة، وبغداد، وقد تولى أبو عبد الله البريدي أمر الوزارة في عهد المتقي لله، وكان ذلك سنة ثلاثين وثلاث مئة وقد أخذ أصحابه في النهب والسلب، ووقعت الفتن بين الناس، وظلم الناس ظلماً لم يسمع بمثله قط، كما يقول ابن الأثير⁽⁴⁾.

وكان أبو القاسم عبد الله بن أبي عبد الله البريدي هو آخر فردٍ من أسرة البريديين يتولّى أمر البصرة، وقد استنقذها منه: معز الدولة والمطيع لله، وهرب أبو القاسم إلى هجر، والتجأ إلى القرامطة، وكان ذلك سنة ست وثلاثين وثلاث مئة⁽⁵⁾.

(1) الطبري 286/10.

(2) ابن الأثير 332/8.

(3) نفسه.

(4) انظر في مظالم البريديين: ابن الأثير 381/8 وما بعدها.

(5) نفسه 469/8.

- الحالة الثقافية -

على الرغم من هذه الحالة السياسية التي عاشتها مدينة البصرة، ولم تعرف الاستقرار في أثنائها، فقد كانت الحالة الثقافية مزدهرة فيها إلى درجة كبيرة، وقد كثر الرواد من أهل الثقافة ورجال العلم. فمن رجال الشعر والأدب الذين عرفتهم البصرة في عصر شاعرنا، القاضي التنوخي أبو القاسم علي بن محمد بن داود بن فهم، وأبو الحسن محمد بن محمد بن لنكك البصري الشاعر، وهو الذي جمع ديوان الخبزأرزي، وأبو رياش الذي يقول فيه صاحب اليتيمة كان أبو رياش باقة في حفظ أيام العرب وأنسابها، وأشعارها، غاية بل آية في هذ دواوينها وسرد أخبارها، مع فصاحة وبيان، وإعراب وإتقان⁽¹⁾.

ومنهم: أبو عبد الله الحسين بن علي النمري وكان من صدور البصرة في الأدب والشعر، وقد جمع الحفظ الكثير الغزير، والعلم القوي القويم والنظم الظريف المليح⁽²⁾. وأبو عاصم البصري، وقد روى له صاحب اليتيمة مقطوعتين طريفتين، الأولى في اقتران الهلال والثريا والزهرة، يقول فيها:

رأيت الهلال وقد أحدقته	لجوم الثريا لكي تسبقه
فشبهته وهو في إثرها	وبينهما الزهرة المشرقة
بقوس لرام رمى طائراً	فاتبع في إثره بندقه ⁽³⁾

والثانية في اقتران الهلال والزهرة⁽⁴⁾.

ومنهم: أبو الحسين الطاهر البصري، وقد أورد له صاحب اليتيمة عدداً من المقطوعات في الوصف والغزل⁽⁵⁾.

(1) الثعالي 2/ 351.

(2) نفسه.

(3) نفسه 2/ 368.

(4) نفسه.

(5) الثعالي 2/ 369.

ومن العلماء الذين عرفتهم البصرة في هذا العصر: أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى⁽¹⁾ صاحب كتاب الموازنة بين الطائيين وقد اشتغل بالكتابة في مدينة البصرة، وله شعر حسن، واتساع تام في علم الشعر ومعانيه، وقد صنف كتباً كثيرة منها: المختلف والمؤتلف في أسماء الشعراء وكتاب نثر المنظوم وكتاب معاني شعر البحري وغيرها وله ديوان شعر، وقد قدم بغداد، وأخذ اللغة والنحو عن: الحسن بن سليمان الأخفش، وأبي إسحاق الزجاج، وأبي بكر بن دريد، وأبي بكر بن السراج، وقد انتهت رواية الشعر القديم والأخبار في آخر عمره بالبصرة إليه. ومن شعره في المديح قوله:

يا واحداً كان في الزمان	لا مَنْ يجاريه أو يُداني
دعني من نائل جزيل	يعجز عن شكره لساني
فلست والله مستميحاً	ولا أخا مطمع تراني
وهب إذا كنت لي وهوباً	من بعض أخلاقك الحسان

ومنهم: ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن⁽²⁾، وقد ولد بالبصرة في خلافة المعتصم، ومات سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة بعد أن عمر طويلاً، وقد تأدب، وعلم اللغة، وأشعار العرب، وقرأ على علماء البصرة، وقد روى من أخبار العرب وأشعارها ما لم يروه كثير من أهل العلم، وابن دريد هذا هو الذي انتهت إليه لغة البصريين، وقد قيل عنه: كان أحفظ الناس، وأوسعهم علماً، وأقدرهم على شعر، وما ازدهر العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر، وابن دريد، وتصدر ابن دريد في العلم ستين سنة، وكان يقال: ابن دريد أشعر العلماء، وأعلم الشعراء. وقيل عنه أيضاً: كان واسع الحفظ جداً، وكانت تقرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها، فيسابق إلى إتمامها من حفظه، وما قرئ عليه ديوان شاعر إلا وهو يسابق إلى روايته لحفظه له.

(1) انظر ترجمته في: معجم الأدباء 75/8 وما بعدها، ونبأ الرواة 265/1 وبغية الوعاة ص 218.

(2) انظر ترجمته في: معجم الأدباء 107/18، مروج الذهب 228/4 وما بعدها، وتاريخ بغداد 195/2 وما بعدها، مراتب النحويين 135، وخزانة الأدب 118/3.

ولابن دريد تصانيف كثيرة لعل أهمها: أجمهرة و الاشتقاق وله ديوان شعر، ومن قصائده المشهورة المقصور والممدود وقد قالها في مدح الأمير أبي العباس بن ميكال، وقد اشتملت هذه القصيدة على سبع وخمسين كلمة مقصورة، ومثلها ممدودة من نفس مادتها، وقد بدأها بقوله:

لا تـركـننـي إلى الهـوى واحذر مفارقة الهـواء
يوماً تصير إلى الثـرى ويفوز غـيرك بالثـراء
وله القصيدة المشهورة المقصورة وقد مدح بها محمد ميكال والي الأهواز وابنه اسماعيل، وقد بنى قافيتها على الحرف المقصور، وهي في مثنى وخمسين بيتاً، قال صاحب الخزانة: إنه ضمها لثلاث المقصور في اللغة. وقد استهلها بقوله:

يا ظبية أشبه شيءٍ بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا
ومن شعره قوله في النرجس:

عيون ما يلمّ بها الرقاد ولا يحسو محاسنها السهاد
إذا ما الليل صافحها استهلت وتضحك حين ينحسر السواد
لها حلق من الذهب المصفى صياغة من يدين له العباد
وأجفان من الدرّ استفادت ضياء مثله لا يستفاد
على قضب الزبرجد في ذراها لأعين من يلاحظها مراد

ومنهم: علي بن حمزة البصري اللغوي⁽¹⁾، وهو أحد أعيان اللغة والأدب، وله ردود كثيرة على جماعة من أهل اللغة والأدب والرواية من مثل: الأصمعي والأعرابي، وابن دريد، وله كتب أخرى كثيرة، وقد روى عنه أبو الفتح بن جني شيئاً من أخبار المتنبي، وقد سكن بغداد، وتوفي سنة خمس وسبعين وثلاث مئة.

(1) انظر ترجمته في: معجم الأدباء 208/13، وبغية الوعاة ص 227.

وغير هؤلاء كثيرون مَن حفلت بهم مدينة البصرة، التي لم تحفل بمثلهم في غير هذا العصر؛ فعلى الرغم من الحالة السياسية المضطربة التي عاشتها، فقد كانت مدينة الشعر والعلم والأدب واللغة.

الفصل الثاني

حياة الخبزارزي

(1) نشأته: اسمه، ولقبه، ووفاته

(2) ثقافته

(3) صلته برجال عصره

الفصل الثاني

حياة الخبزارزي

نشأته:

اسمه: نصر بن أحمد بن نصر بن مامون البصري، وكنيته: أبو القاسم وقد اتفقت المصادر جميعها التي ترجمت له على هذه الكنية، كمروج الذهب⁽¹⁾ - وكان صاحبه معاصراً للخبزارزي - وتاريخ بغداد⁽²⁾، ووفيات الأعيان⁽³⁾، والنجوم الزاهرة⁽⁴⁾، ومعجم الأدباء⁽⁵⁾، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم⁽⁶⁾، ولكن صاحب ذيل زهر الآداب⁽⁷⁾ أورد كنية مختلفة؛ فقال: "وحضر أبو الحسين بن لنكك عند أبي الفتح نصر بن أحمد الخبزارزي". أما لقب الخبزارزي⁽⁸⁾ (بضم الخاء المعجمة وسكون الباء الموحدة، وفتح الزاي وبعدها همزة ثم راء ثم زاي ثم ياء)؛ فقد أجمعت المصادر أيضاً على أنه أحرزه من حرفته؛

(1) المسعودي 352/4.

(2) الخطيب البغدادي 296/13.

(3) ابن خلكان 376/5.

(4) ابن تغري بردي 276/3.

(5) ياقوت الحموي 218/19.

(6) ابن الجوزي 329/6.

(7) الحصري القيرواني ص 199.

(8) وقد اشتهر شخص آخر بهذه النسبة وهو: أبو الحسين أحمد بن أحمد البزاز، المعروف بابن الخبزارزي، بغدادي، حدث بكتب التفسير عن محمد بن جرير الطبري روى عنه يوسف بن عمر القواس، وكان ثقة، وتوفي في شوال سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة. انظر ابن الأثير: اللباب في تهذيب الانساب 419/1 وفتح الحمزة وضمها وتشديد الزاي وتخفيفها في الأرز يختلف باختلاف اللغات في هذه الكلمة، وفيها ست لغات: الأولى: بضم الحمزة والراء وتشديد الزاي والثانية، بفتح الحمزة، والباقي مثل الأولى. والثالثة أرز: بضم الحمزة وسكون الراء وتخفيف الزاي. والرابعة مثل الثالثة لكن الراء مضمومة، والخامسة رز، بضم الراء وتشديد الزاي. والسادسة: رُز بضم الراء وسكون النون وتخفيف الزاي، وهي لعبد القيس، وقد كرهوا التشديد فأبدلوا من الزاي الأولى نونا. انظر لسان العرب: مادة أرزورنز، وانظر وفیات الأعيان. 5 /

فقد كان خبازاً يخبز الأرز بدكان له في مريد البصرة. وقد كان أمياً لا يتهجى، ولا يكتب⁽¹⁾. كانت نشأته في مدينة البصرة، حيث خالط شعراءها وأدباءها، ومدح ولاتها وقضاها، ثم انتقل إلى مدينة بغداد، وأقام بها دهرأ طويلاً كما يقول الخطيب البغدادي، وهناك قرئ عليه ديوانه⁽²⁾.

ولم تذكر المصادر شيئاً عن حياته سوى أنه كان يخبز خبز الأرز بمريد البصرة في دكان، وكان ينشد أشعاره والناس يزدحمون عليه ويتطفرون باستماع شعره، ويتعجبون من حاله وأمره⁽³⁾. وجاء في مروج الذهب قيل إنه قد هرب من البصرة ولحق بهجر الأحساء خوفاً من البريدي⁽⁴⁾.

وليس لدينا أخبار عن أسرته؛ فهو لا يذكر لنا شيئاً عنها في شعره، وقد ذكر صاحب اليتيمة أن شاعراً بزعمه يكنى أبا طاهر انتمى إليه وورد نيسابور بأشعار تناسب دعوته، وانتحل كثيراً من محاسن السري، والخالدين، وغيرهم من المحسنين، الذين لم تقع أشعارهم بعد إلى خراسان⁽⁵⁾ وقد عدّ الثعالي ذلك من النوادر⁽⁶⁾. وفي أبي طاهر هذا يقول أبو بكر الخوارزمي⁽⁷⁾:

يقولُ نصرُ أبي فقلتُ لهم عندي بهذا شهادةٌ حسنة
نعم ولكن أمةً حملت من بغد ما مات شيخه بسنة
وقد عثرت في كتاب نهاية الأرب على بيتين من الشعر منسوبين إلى أبي طاهر هذا، وهما⁽⁸⁾:

وَرَوْضَةٌ رَاضَتْهَا النَّدى فَعَدَا لَهَا مِنَ الزُّهْرِ أَلْجَمُ زُهْرُ

(1) انظر مثلاً: يتيمة الدهر 132/2، ووفيات الأعيان: 376/5 ومعجم الأدباء 218/19، والنجوم الزاهرة 276/3.

(2) تاريخ بغداد 296/13.

(3) انظر: يتيمة الدهر 132/2، ووفيات الأعيان 376/5.

(4) المسعودي: 353/4.

(5) الثعالي 133/2.

(6) نفسه.

(7) نفسه.

(8) 265/11.

تَشْرُ فِيهَا أَتْلِي الرُّيْعَ لَنَا مِنْ بَعْدِ مَا مَاتَ شَيْخُهُ بِسَنَةِ
ولكن صاحب معاهد التنصيص، يوردهما مع بيتين آخرين، وينسب الأبيات جميعها
إلى الخبزارزي نفسه^(١). ولا نجد في شعر الخبزارزي أي ذكر لابنه هذا، أو أي فرد من أفراد
أسرته.

(١) عبد الرحيم العباسي 6/2.

وفاته:

أما تاريخ وفاته؛ ففيه نظر، فقد ذكرت بعض المصادر مثل، شذرات الذهب⁽¹⁾، وتاريخ ابن الوردي⁽²⁾، وتاريخ أبي الفدا⁽³⁾؛ ووفيات الأعيان أنه توفي سنة سبع عشرة وثلاث مئة، وذكر ابن خلكان أنه نقل ذلك من: تاريخ ابن الأزرقي الفارقي⁽⁴⁾. أما ياقوت الحموي؛ فقد ذكر أنه توفي سنة سبع وعشرين وثلاث مئة⁽⁵⁾.

والأرجح أنه توفي سنة ثلاثين وثلاث مئة كما ذكر صاحب النجوم الزاهرة⁽⁶⁾ وصاحب المنتظم في أخبار الملوك والأمم⁽⁷⁾، وذلك للأسباب الآتية:

1- ذكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، أن أحمد بن منصور النوشري سمع منه ببغداد باب خراسان في سنة خمس وعشرين وثلاث مئة⁽⁸⁾. وكان عمر النوشري وقت ذاك سبع عشرة سنة إذ ولد في سنة ثمان وثلاث مئة⁽⁹⁾.

2- أما السبب الثاني؛ فإننا نجد في ديوانه قصائد في مدح أبي الحسن محمد بن يزيد الذي تولّى البصرة سنة خمس وعشرين وثلاث مئة، ونجد في ديوانه كذلك قصيدة مطوّلة في مدح البريديين الذين تولّوا البصرة بعد ابن يزيد، ومكثوا في البصرة سنوات عديدة. وبذلك يتفنى الرأيان.

3- والسبب الثالث والأخير أن المسعودي، الذي كان معاصراً للخيزارزي إذ توفي سنة ست وأربعين وثلاث مئة، عندما يتناهى به الكلام إلى خلافة المتقي يقول: "... فلنذكر الآن بعض من اشتهر شعره في هذا الوقت واستفاض في الناس وظهر ... فمنهم أبو القاسم

(1) 276 / 2.

(2) 261 / 1.

(3) 80 / 2.

(4) وفيات الأعيان 382 / 5.

(5) معجم الأدباء 218 / 19.

(6) 276 / 3.

(7) 329 / 6.

(8) 296 / 13.

(9) 155 / 5.

نصر بن أبي حمد الخبزأرزي وأكثر الغناء المحدث في وقتنا هذا من شعره⁽¹⁾ والمعروف
بأن المتقي لله، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر، قد بويغ سنة تسع وعشرين وثلاث
مئة، وخُلِعَ وسُملت عيناه سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مئة⁽²⁾ وعلى هذا فمن الأرجح
بأن يكون قد لبَّى نداء ربِّه سنة ثلاثين وثلاث مئة للهجرة.

(1) مروج الذهب 4/352.

(2) نفسه 4/339.

ثقافته:

على الرغم من أن الخبزارزي لم يكن يعرف القراءة والكتابة فإننا نجد في شعره ما يدل على أنه كان يلمّ بالثقافة العربية والإسلامية فنراه مثلاً يعرض لبعض الأسماء التاريخية والدينية والعلمية من مثل قوله:

صَلَابَةٌ وَجْهِي فِي الْهَوَىٰ لَوْ تَمَثَّلْتُ
بأيام ذي القرنين أغنت عن السد⁽¹⁾
وقوله من قصيدة أخرى:

لَوْ أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ فِي ظُلُمَاتِهِ
لاقاه يضحك لاستضاء بثغره⁽²⁾
وقوله:

فَلَوْ أَنِّي فِي غَمَرْتِي حَرْبٍ دَاحِسٍ
وحرب بسوس كان دون الذي عندي⁽³⁾

ويكثر من ذكر الأعلام الدينية كأسماء الأنبياء مثلاً، من مثل قوله:

عَلَيَّ وَاللَّهِ فِيهَا شَتَعُوا كَذَبُوا
ككذب أولاد يعقوب على الدّيب⁽⁴⁾
وقوله:

مَا جَفَّانِي مَنْ كَانَ لِي أُنْسًا
كمثل يعقوب بعد يوسف إذ حـ

من إلى شَمِّ بَغْضِ أَوَابِهِ⁽⁵⁾

وقوله:

أَهْدَيْتُ مَا لَوْ أَنَّ أَضْعَافَهُ
مُطَرَّحٌ عِنْدَكَ مَا بَانََا

(1) ديوانه ص 71.

(2) ديوانه ص 184.

(3) نفسه ص 69.

(4) نفسه ص 37.

(5) نفسه ص 377.

كَمَثَلِ بَلْقَيْسِ الَّتِي لَمْ يَبْنَ
وَمِثْلُ قَوْلِهِ: إِهْدَاؤُهَا عِنْدَ سُلَيْمَانَ⁽¹⁾

فَهِيَ بِالْأَمْسِ نَارُ صَالِحٍ كَانَتْ
وَمِثْلُ قَوْلِهِ: وَهِيَ الْيَوْمَ نَارُ إِبْرَاهِيمَا⁽²⁾

كَأَنَّ يَوْشَعَ رَدُّ الشَّمْسِ ثَانِيَةً
عِنْدَ التَّفَاتَةِ لِحَوِيٍّ بِمَنْعَرَجٍ⁽³⁾
وَهُوَ يَشِيرُ إِلَى قِصَّةِ يَوْشَعَ، فَتَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاسْتِيقَافِهِ الشَّمْسِ. وَمِثْلُ هَذَا
كَثِيرٌ فِي شِعْرِهِ.

وَيَذَكِّرُ فِي شِعْرِهِ، كَذَلِكَ، أَسْمَاءَ النُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ، عَمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ عَلَى دِرَايَةٍ
بِعِلْمِ الْفَلَكَ الَّذِي كَانَ مُشْتَهَرًا فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ، يَقُولُ مِنْ قَصِيدَةٍ:

كَمَلْتُ صِفَائِكَ، فَيْكَ حُسْنُ الْمَشْتَرِي
فَإِذَا رَأَيْتُ رَأَيْتُ شَخْصَ مُحَاسِنِ
بَيْنَ النُّجُومِ وَفَيْكَ شَكْلُ عَطَارِدِ

وَإِذَا اخْتَبَرْتَ رَأَيْتُ شَخْصَ عَامِدِ⁽⁴⁾

وَيَسْتَخْدِمُ فِي شِعْرِهِ بَعْضَ الْفَافِظِ الْفَلَّاسِفَةِ، كَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ:

رَقَّتْ حَوَاشِيهِ حَتَّى لَوْ يَمُرُّ بِهِ
لَوْ أَنَّ ظِلَّ ذِبَابٍ طَارَ مِنْ بُعْدِ
وَهَمُّ الضَّمِيرِ لِفَرْطِ اللَّيْنِ لَا عَتَصْرَا
حَاذِي مُحَاسِنَهُ أَبْقَى لَهَا أَثْرَا⁽⁵⁾

وَمِثْلُ قَوْلِهِ:

خَدَّانَ لَوْ نُفَخَا بِالْوَهْمِ لَاشْتَعَلَا

نَاراً وَلَوْ قُطِّرَا مِنْ رُقَّةٍ قَطْرَا⁽⁶⁾

(1) وفيات الأعيان 5/ 380.

(2) ديوانه ص 322.

(3) معاهد التنصيص 4/ 197.

(4) ديوانه ص 79.

(5) ديوانه ص 130.

(6) نفسه ص 130.

وكما جاء في قوله:

أنضى الهوى جسدي وبدلني به

جسداً تكون من هوى متجسد

ما زال إيجاد الهوى عذمي إلى

أن صيرت لو أعدمته لم أوجد⁽¹⁾

(1) مروج الذهب 4/ 352.

صلته برجال عصره:

اتصل الخبزارزي بولاية البصرة، وقضاتها، وشعرائها، وكبار رجالاتها، وممن تدور أسماؤهم في شعره: أبو الحسن محمد بن يزداد الذي تولّى البصرة سنة خمس وعشرين وثلاث مئة، وتذكر كتب التاريخ أنه قد أساء السيرة وظلم أهلها، فاتصل أهلها بالبريدي، فأرسل جيشاً وأمره بدخول البصرة، فأنفذ ابن يزداد جماعة من عنده، ليمنعهم من دخول البصرة، فاقتتلوا، وانهزم أصحاب ابن يزداد، ودخل أصحاب البريدي البصرة، وانهزم ابن يزداد إلى الكوفة، ثم ذهب إلى دمشق، ولما دخل الإخشيد مدينة دمشق، نقله عنها إلى مصر وجعله على شرطتها⁽¹⁾.

ويفرد الخبزارزي لأبي الحسن محمد بن يزداد القصائد الطوال، وهو يهّل كثيراً لتوليه مدينة البصرة، ومن قوله في مديحه:

مِنْ بَسْطِ جَذْوَاهُ أَغْنَانِي وَمَهْدَ لِي

عِنْدَ الْمُلُوكِ يَبْسُطُ الْجَاوِ ثَمَهِدَا

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ أَرْغَى رَعِيَّتَهُ

مَنْ لَيْسَ إِخْسَانُهُ فِي النَّاسِ مَجْحُودَا

أَمَّا الْقُلُوبُ فَقَدْ أَلْقَتْ بِأَجْمَعِهَا

إِلَى الْأَمِيرِ ابْنِ يَزْدَادَ الْمُقَالِيدَا

لَا غَرَوْا إِنْ كَانَ كُلُّ النَّاسِ حَامِدُهُ

مَنْ لَمْ يَزَلْ مُحْسِنًا لَا زَالَ مَحْمُودَا

اللَّهُ سَلْ بِهِ سَيْفَ الْمَهَابَةِ لِلتُّقَى

وَأَصْبَحَ سَيْفُ الْبَغْيِ مَغْمُودَا

(1) انظر: الكامل لابن الأثير 8/405.

كَمْ سَرَّيْتُ رَحْمَاءَ النَّاسِ رَحْمَتُهُ

وَكَمْ تَجَرَّدَ فَيَمَنُ كَانَ مَرْدُوداً⁽¹⁾

ويقول في مديحه من قصيدة أخرى:

هَذَا ابْنُ يَزْدَادَ الَّذِي أَيَّامُهُ
لِلْبَصْرَةِ الْفَوْزِ الْعَظِيمِ فَأَمْنُهَا
مَهْدُهَا بِالرُّفْقِ مِنْكَ وَطَالَمَا
فَاللَّهُ وَقَاهُمْ بَيْنَكَ وَاتَّقُوا
فَلَوْ اسْتَطَاعُوا أَوْطَاوَكَ خُدُودَهُمْ
وَيَحَقُّهُمْ أَنْ يَشْكُرُوا لِمُبَارَكِ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَشَفَ الرُّدَى

كَسَتِ الْبِلَادَ بِشَاشَةٍ وَجَمَّالاً
عَمَرَ الْبَقَاعَ وَثَمَرَ الْأَمْوَالَ
بِالْحَرَقِ زَلَزِلَ أَهْلُهَا زَلْزَالاً
وَاللَّهُ بَلَّغَهُمْ بِكَ الْأَمَالَ
حَتَّى تَكُونَ لَكَ الْخُدُودُ نِعَالاً
أَلَسَّاهُمْ الرُّوعَاتِ وَالْأَوْجَالَ

بِالْيَمَنِ مِنْكَ وَجَمَّلَ الْأَخْوََالَ⁽²⁾

ويبدو أن الخبزارزي كان مقرباً من ابن يزيد هذا؛ فقد ذكر الخالديان في كتاب الهدايا والتحف أن الخبزارزي أهدى إلى ابن يزيد والي البصرة فصّاً، وكتب معه:

أَفَدَيْتُ مَا لَوْ أَنَّ أَضْعَافَهُ
كَمَثَلِ بَلْقَيْسِ الَّتِي لَمْ يَبْنِ
هَذَا امْتِحَانٌ لَكَ إِنْ تَرْضَاهُ
بِإِنْ لَنَا أُنْكَ تَرْضَانَا⁽³⁾

وعندما تحولت البصرة إلى البريديين، اتصل الخبزارزي بهم، وأولاد البريدي ثلاثة هم: أبو عبد الله، وأبو يوسف، وأبو الحسين، وكانوا قد ضمنوا الأهواز، ثم استولوا على البصرة كما تقدم، وظلموا أهلها، وبرز منهم شخص رابع، وهو أبو القاسم بن أبي عبد الله البريدي الذي تسلط على البصرة بعد موت أبيه، ونازعه عمه أبو الحسين السلطة وحاربه،

(1) ديوانه ص 65.

(2) ديوانه ص 290.

(3) التحف والهدايا ص 23 وانظر وفيات الأعيان 5/ 380.

فانكسر أبو الحسين، والتجأ إلى القرامطة، ثم إلى بغداد حيث قتل صبراً، فاستقل أبو القاسم بالبصرة، وقد طرده منها معز الدولة في سنة ست وثلاثين وثلاث مئة، فالتجأ إلى هجر، ثم دخل بغداد سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة، وأقام بها حتى توفي سنة تسع وأربعين وثلاث مئة وشاعرنا يمدحهم مجتمعين باسم البريديين⁽¹⁾ ومن قوله في مديحهم:

تُبلى الرياضُ وكُلُّ روضٍ وافٍ	وئدى البريديين ليس يبال
غرّ البريديين أحسنُ منظرًا	للناس فيه حدائقُ الأمال
إقبالُ دولتهم على كُلى الورى	متابعٌ بفوائدِ الإقبال
قد كادتِ الأرزاقُ ثقُلُ فانبرت	بركائهم بمفاتيحِ الآفقال
وهمُ الثلاثةُ شبَّ فيهم رابعٌ	من ذى المعالي وهو جدُّ عال
أيامكم في العالمين كأنها	من حُسْنِها مصقولةٌ بصقال
عظمت كفايتكم وجلُّ عناؤكم	فيكم تسيرُ سوايرُ الأمثال
في الأرضِ ذلكَ في السمواتِ العلا	تُدعونُ سادةَ سادةِ العمال ⁽²⁾

وقد ذكر المسعودي في سبب وفاة الخبزارزي وقد أشيع بموته وأن البريدي غرقه لأنه كان هجاء...⁽³⁾ ولم أجد له من الأشعار ما يفيد بأنه هجا أحد البريديين.

واتصل الخبزارزي كذلك بالقاضي أبي القاسم علي بن محمد التنوخي الذي توفي بالبصرة سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئة ودفن بالمربد، وابنه أبو علي المحسن صاحب كتاب نشوار المحاضرة، وكتاب الفرج بعد الشدة، وعلى ما يبدو؛ فقد كان الخبزارزي مقرباً من أبي القاسم هذا كما كان أبو القاسم بدوره معجباً بشعر الخبزارزي؛ فقد كان أحد رواة أشعاره، جاء في نشوار المحاضرة "حدثنا القاضي التنوخي قال: أهدى إلي نصر بن أحمد الخبزارزي سبعة سبج، وكتب معها:

(1) ابن الأثير 8/469.

(2) ديوانه 305.

(3) مروج الذهب 4/353.

بعثتُ يا بذرَ بني يعربٍ بسبحةٍ من سَبَجٍ معجبٍ
يقولُ من أبصرها طرفُها نغمَ عتادِ الخائفِ المُذنبِ
لَمْ تُخْطِ إنْ فُكِّرْتَ في نظمها ولوئها من حَمَّةِ العقربِ⁽¹⁾

وكان القاضي التنوخي هذا من أعيان أهل العلم والأدب، وله بعض الأشعار الطريفة التي روتها كتب التراجم والأدب، ومن شعره:

وليلةٌ مُشتاقٍ كأنَّ نجومه قد اغتصبتْ عيني الكرى فهي نُومٌ
كانَ عيونُ السَّاهرينَ لطلولها إذا شخّصتْ للألْجَمِ الزُّهرِ أنْجُمُ
كانَ سوادُ الليلِ والفجرُ ضاحكٌ يُلوحُ ويخفى أسودٌ يتبسّمُ⁽²⁾

وله:

لَمْ أُنْسَ دَجَلَةً والدُّجَى مُتَصَوِّبٌ والبذرُ في أفقِ السماءِ مُعْرَبُ
فكأنَّها فيه بِسَاطُ أَرْقٌ وكأنَّه فيها طِرَازُ مُذَهَّبُ⁽³⁾

وله في الحكمة والموعظة:

تُخَيِّرُ إذا ما كُنْتَ في الأمرِ مُرْسِلاً فمُبْلِغُ آراءِ الرُّجَالِ رَسولُها
وَرَوِيٌّ وَفَكَّرٌ في الكتابِ فإِنَّمَا بأطرافِ أَقلامِ الرُّجَالِ عَقولُها⁽⁴⁾

ومن قول شاعرنا في مديحه:

رَأَيْتُ رَجِالاً لَا يُرَامُ كَمَالُهُمْ وَلَمْ أَرَ كَالْقَاضِي التَّنُوخِيِّ كَامِلًا
إذا استنبطَ القومُ العلومَ تُشَاجِرُوا وأوضحَ برهانَ العقولِ الدلائلًا

(1) 29 / 5.

(2) معجم الأدباء 14 / 168.

(3) نفسه 14 / 169.

(4) نفسه.

أَظِلَّ عَلَى فَصْلِ الْخُطَابِ بِمَنْطِقٍ
وفي القصيدة نفسها يقول فيه أيضاً:

فَيَا مَنْ أَجَلَّتْهُ تَنُوحٌ بِخَوْفٍ
لئن ألتَ جَرَّدَتِ الْعَزِيمَةُ فِي الْعُلَا
وإن يَفْضُلَ الْحُكَّامَ عِلْماً وَسُؤْدَاداً

فقد فَضَلْتُ قِداماً تَنُوحُ الْقَبَائِلَا

قَسَمْتُ الْعَطَايَا إِذْ كُنَيْتَ بِقَاسِمٍ

لَأَنَّكَ تُكْنَى بِالَّذِي ظَلَمْتَ قَائِلَا

ومن الذين اتصل بهم الخبزارزي: أبو الحسين أحمد بن الحسن بن المثنى كان والده أبو علي الحسن بن المثنى من رجال البصرة، ونشأ أبو الحسين في كنفه، ودرس الفقه على محمد بن جعفر بن بسام قاضي البصرة، وكان له عمل من الأدب واللغة والشعر كبير، واشتهر بالفضل صغيراً؛ فكتب أبو خازم القاضي إلى والده الحسن بأن ينفذه إليه ليوليه القضاء فاعتذر، وزاد أمره، وارتفع لجمه، ثم فُلج سنين، وتوفي في سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة⁽²⁾، وقد روى أبو علي المحسن التنوخي صاحب نشوار المحاضرة⁽³⁾ أن نصر بن أحمد الخبزارزي دخل على أبي الحسين بن المثنى في أثر حريق المريد؛ فقال له أبو الحسين: يا أبا القاسم. ما قلت في حريق المريد؟ قال: ما قلت شيئاً.

فقال له: هل يحسن بك، وأنت شاعر البصرة، والمريد من أجل شوارعها، وسوقه من أجل أسواقها، ولا تقول فيه شيئاً.

فقال: ما قلت، ولكني أنشدك ارتجالاً:

أَتَتَكُمْ شُهُودُ الْمَوِي تُشْهَدُ
فَمَا تُسْتَطِيعُونَ أَنْ تُجَحِّدُوا

(1) ديوانه ص 293 وما بعدها.

(2) نشوار المحاضرة 146/3.

(3) 116/7.

فِيَا مَرِيدُونَ نَاشِدْتُكُمْ عَلَى أَنَّنِي مِنْكُمْ مُجْهَدٌ
جَرَى نَفْسِي صُعَدًا يَتَنَكَّمُ فَأَخْرَقَ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَبَدُ
وَهَاجَتِ رِيَّاحُ حَنِينِي لَكُمْ فَظَلَّتْ يَهَا نَارُهُ تَوْقَدُ
وَلَوْلَا جَرَتْ أَذْمَعِي لَمْ يَكُنْ حَرِيقُكُمْ أَبَدًا يُخَمَّدُ
ولم أعر في ديوانه على قصيدة أو مقطوعة يمدح بها أبا الحسين هذا.

وكان ابن لنكك البصري فرد البصرة وصدر أدبائها، ويذكر ظرفاء زمانه، والمرجوع إليه في لطائف الأدب وظرائفه طول أيامه⁽¹⁾ من أكابر الرجال الذين اتصل بهم شاعرنا، وقد ذكرت معظم المصادر التي ترجمت للخبزارزي، أن ابن لنكك هذا هو الذي جمع ديوان الخبزارزي وكان يتاب دكانه، ويسمع شعره، ويبدو أن بزوغ شمس المتنبي قد أدى إلى أفول نجم ابن لنكك البصري، فتحول من شاعر ملح وطرائف إلى شاعر هجاء، وأول من بدأ به المتنبي، فزعم أن أباه كان سقاء كما كان يقول شعراء بغداد:

قُولُوا لِأَهْلِ زَمَانٍ لَا خَلَقَ لَهُمْ ضَلُّوا عَنِ الرُّشْدِ مِنْ جَهْلٍ بِهِمْ وَعَمُوا
أَعْطَيْتُمُ الْمُتَنَبِّيَ فَوْقَ مُنْتَبِهِ فَرَوَّجُوهُ بِرَغَمِ أُمِّهَا تِكُمْ
لَكِنْ بَغْدَادَ جَادَ الْغَيْثُ سَاكِئَهَا نِعَالَهُمْ فِي قَفَا السَّقَاءِ تُزْدَحِمُ⁽²⁾
وقال فيه:

مُتَّبِعِيكُمْ ابْنُ سَقَاءٍ كُوفَا نَ وَيُوحَى مِنَ الْكُنُفِ إِلَيْهِ⁽³⁾
وهجا معظم شعراء عصره، من مثل الرملي الشاعر الذي يقول فيه:

خَلَفَ الرَّمْلِيُّ فِيمَا قَصَّ عَنِّي وَحَكَاةَ
يَدْعِي يَوْمَ اصْطَلَحْنَا أَنَّنِي قَبِلْتُ قَاةَ
لَمْ أَقْبَلْ قَاةَ لَكِنْ قَبَلْتُ نَعْلِي قَاةَ⁽⁴⁾

(1) يتيمة الدهر 2/ 116.

(2) نفسه.

(3) يتيمة الدهر 2/ 117.

(4) نفسه 2/ 121.

وأبي رياش الذي كان، كما يقول الثعالبي، باقعة في حفظ أيام العرب وأنسابها وأشعارها، غاية بل آية في هذّ دواوينها وسرد أخبارها، مع فصاحة وبيان، وإعراب وإتقان⁽¹⁾ يقول فيه ابن لنكك:

يطيرُ إلى الطعامِ أبو رياشٍ مُبَادَرَةٌ وَلِسُو وَاوَاهُ قَبْرُ
أَصَابِعُهُ مِنَ الحُلَسَاءِ صَفْرُ وَلَكِنْ الْأَخَادِعُ مِنْهُ حَمْرُ⁽²⁾

وأبي الهيثام كلاب بن حمزة، وكان ابن لنكك يتولّع به، ويبدع في هجائه كقوله:
أَنْتَ ابْنُ كُلِّ الْبَرَايَا لَكِنْ اقْتَصِرُوا عَلَى اسْمِ حَمْزَةٍ وَصَفَا غَيْرَ تَشْمِيخِ
كَدَارٍ بَطِيخٍ تَحْوِي كُلُّ فَاكِهَةٍ وَمَا اسْمُهَا الدَّهْرُ إِلَّا دَارُ بَطِيخِ⁽³⁾
وقال في هجاء المبرمان النحوي:

صَدَاغٌ مِنْ كَلَامِكَ يَعْترِينَا وَمَا فِيهِ لِمَسْتَمِعٍ بَيَانُ
مَكَابِرَةٍ وَمُخْرَقَةٌ وَبِهْتٌ لَقَدْ أَبْرَمْتَنَا يَا مَبْرِمَانِ⁽⁴⁾

وبعد أن فرغ من هجاء الأدباء والشعراء والنحاة والفقهاء في عصره تحوّل إلى هجاء الدهر والزمان، يقول:

نَحْنُ وَاللَّهِ فِي زَمَانٍ غَشُومٍ لَوْ رَأَيْنَاهُ فِي الْمَنَامِ فَرَعْنَا
يُصْبِحُ النَّاسُ فِيهِ مِنْ سَوْءِ حَالٍ حَقٌّ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ أَنْ يُهْنَأَ⁽⁵⁾
وقال:

نَحْنُ مِنَ الدَّهْرِ فِي أَعَاجِيَا فَسَأَلَ اللَّهُ صَبْرَ أَيُّوبَا
أَقْفَرَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَاسِيْنَهَا فَابْكِ عَلَيْهَا بِكَاءِ يَعْقُوبَا⁽⁶⁾

(1) نفسه 120/2.

(2) نفسه 120/2.

(3) نفسه 122/2.

(4) يتيمة الدهر 123/2.

(5) نفسه 118/2 وانظر معجم الأدباء 6/19.

(6) نفسه 118/2 وانظر معجم الأدباء 6/19.

ونجد له أبياتاً أخرى في غير المهجاء، فمن ذلك قوله في طول الليل:
 وَلَيْلَةٌ أَرُقَّنِي طَوْلُهَا
 كَأَنَّمَا اشْتَقُّتُ لِإِفْرَاطِهَا

في طَوْلِهَا مِنْ أَمَلِ الْجَاهِلِ⁽¹⁾

ومن ذلك هذه الأبيات السائرة:

يَعِيبُ النَّاسُ كُلُّهُمْ الزُّمَانَا
 نَعِيبُ زَمَانُنَا وَالْعَيْبُ فِينَا
 ذُنَابُ كُلِّنَا فِي خَلْقِ نَاسٍ
 يَعَافُ الذِّيبُ يَأْكُلُ لَحْمَ ذِيبٍ
 وَمَا لِزَمَانِنَا عَيْبٌ سِوَانَا
 وَلَوْ نَطَّقَ الزَّمَانُ إِذَا هَجَانَا
 فَسُبْحَانَ السَّيِّ فِيهِ بَرَانَا
 وَيَأْكُلُ بَعْضُنَا بَعْضاً عِيَانَا⁽²⁾

ويبدو أن شعره لم يكن قصائد أو مقطعات طويلة، بل كان لا يجاوز الثلاثة أو الأربعة؛ قال الثعالبي: "... وكذلك ابن لنكك إذا قال البيت والبيتين والثلاثة أغرب بما جلب، وأبدع فيما صنع، فأما إذا قصد القصيد فقلما يفلح وينجح"⁽³⁾ وذكر بأن الصاحب ابن عباد كتب على ظهر جزء من شعر ابن لنكك:

شعر الظريف ابن لنكك
 مذهب وعمسك
 مهذب وعكسك
 بمثلـه يتمسك⁽⁴⁾

ومن شعر الخبزأرزي في ابن لنكك، قوله في العتاب وهو من جيد شعره:

لِمَ لَا تُرَى لَصِدَاقَتِي تُصَدِّقَا
 ذُو الْعَقْلِ لَا يَرْضَى يَوْسَمَ صِدَاقَةٍ
 فَلِمَنْ يَرْجِي الْحَقُّ أَنْ يُدْعَى أَخَا
 وَعَلَى الرَّفِيقِ بِأَنْ يَكُونَ رَفِيقَا
 فِينَا وَلَمْ تُدْعُ الصَّدِيقُ صَدِيقَا
 حَتَّى يَسْرَى لِحَقْوِقِهَا تَحْقِيقَا

(1) نفسه 126/2.

(2) الوافي بالوفيات 156/1، وتنسب هذه الأبيات مع اختلاف في الألفاظ للإمام الشافعي، انظر ديوانه ص 82.

(3) يتيمة الدهر 116/2.

(4) نفسه.

إِنْ غَابَ غَابَ مَحَافِظاً، أَوْ حَلَّ كَا

ن مُدَاعِيّاً أَوْ قَالَ كَانَ صَدُوقاً⁽¹⁾

(1) مروج الذهب 352/4، وانظر ديوانه ص 417.

الباب الثاني

شعر الخبزأرزي

الفصل الأول: مصادر شعر الخبزأرزي، ورواته، واختلاط شعره واضطرابه

(1) مصادر شعره

(2) رواة أشعاره

(3) اختلاط شعره واضطراب روايته

الفصل الثاني: موضوعات شعره

(1) المديح (2) الحكمة

(3) الوصف (4) الغزل

(5) العتاب والاعتذار (6) الهجاء

(7) التهنئة والهدايا (8) الرثاء

(9) المجون

الفصل الثالث: خصائص شعره الفنية العامة

الفصل الرابع: ديوانه، وآراء النقاد في شعره

(1) ديوانه

(2) آراء النقاد في شعره

الفصل الأول

مصادر شعره، ورواته، واختلاطه

واضطراب روايته

(1) مصادر شعره

(2) رواة أشعاره

(3) اختلاط شعره واضطراب روايته

الفصل الأول

مصادر شعره، ورواته، واختلاطه واضطراب روايته

مصادر شعر الخبزارزي

ذكر صاحب الفهرست أنّ ديوان الخبزارزي يقع في ثلاث مئة ورقة، أي أنّ شعر الخبزارزي كان يبلغ ستة آلاف بيت تقريباً، غير أنني لم أجِد في ديوانه إلاّ أقل من نصف هذا العدد، وقد أخذت في تتبع المصادر العربية القديمة التي حفلت بذكر ألوان من شعره لعلّي أجِد فيها أبياتاً ومقطوعات وقصائد لم تذكر في الديوان.

وأقدم المصادر التي روت شعراً للخبزارزي: مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى سنة (346هـ) وكان معاصراً لشاعرنا، وقد وجدت فيه أربعة عشر بيتاً في ثلاث مقطوعات، وقد انفرد المسعودي بذكرها فلم يذكرها أحدٌ سواه؛ أما المقطوعة الأولى فتقع في بيتين هما:

أَلْضَى الْهَوَى جَسَدِي وَبَدَّلَنِي بِهِ

جَسَداً تَكُونُ مِنْ هَوَى مُتَجَسِّداً

مَا زَالَ إِيجَادُ الْهَوَى عَدَمِي إِلَى

أَنْ صِرْتُ لَوْ أَعْدِمْتُهُ لَمْ أَوْجَدْ⁽¹⁾

وتتكوّن المقطوعة الثانية من خمسة أبيات، وهي على ما يبدو مقتطعة من قصيدة طويلة في عتاب صديقه، وجامع ديوانه، ابن لنكك البصري الشاعر، ومطلعها:

لَمْ لَا تَرَى لَصَدِاقَتِي تَصَدِيقاً

فِينَا وَلَمْ تَدْعُ الصَّدِيقَ صَدِيقاً⁽²⁾

(1) 352/4.

(2) نفسه.

وتقع المقطوعة الثالثة في سبعة أبيات، وهي أيضاً في العتاب، ومطلعها:
أَعْلَيْكَ أَغْتَبُ أَمْ عَلَى الْإِيَامِ؟

بدأت وكُنْتُ مؤكداً بتمام⁽¹⁾

ونلتقي بعد ذلك بأهم كتاب روى شعراً للخيزأرزي، وهو كتاب المحبوب تأليف:
السري بن أحمد الرّفاء الموصلي، المتوفى سنة 362هـ أي بعد وفاة شاعرنا بثلاثين عاماً،
ونجد فيه أكثر من خمسين بيتاً للخيزأرزي، منها تسعة أبيات انفرد بذكرها؛ فلم يذكرها كتاب
آخر، وهي تقع في أربع مقطوعات، تتكون المقطوعة الأولى من ثلاثة أبيات، ومطلعها:
قَدْ قُلْتُ لَمَّا أَنْ نَظَرُ

تُ إِلَى الْحَيِّبِ مَعَ الْعُدَاةِ⁽²⁾

أما ثلاث المقطوعات الأخرى، فتتكون كل مقطوعة منها من بيتين اثنين، مطلع الأولى:
وَحُسْنٌ يُنَمِّنُ ذَاكَ الْعَذَارَ كَأَنَّ مِسْكًَ عَلَيْهِ غُزْلٌ⁽³⁾
ومطلع الثانية:

دُرِيَّةُ اللَّوْنِ فِيهِ مُشْرِبةٌ حُمرةٌ خَمِرٍ تَمَازِجُ اللَّبْنِ⁽⁴⁾
أما المقطوعة الثالثة؛ فمطلعها:

جُدْرِيٌّ أَضْرُّ بِالْوَجَنَاتِ زَادَ حُسْنَ الْوَجُوهِ حُسْنَ الصِّفَاتِ⁽⁵⁾

وسبق السري الرّفاء غيره بذكر أكثر من ثلاثين بيتاً.

ونلتقي بعد ذلك بكتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي علي بن عبد العزيز
الجرجاني (المتوفى سنة 366هـ) فنجد فيه بيتين وردا في الديوان مع اختلاف في بعض
الألفاظ⁽⁶⁾.

(1) 352/4.

(2) ص 477.

(3) ص 397.

(4) ص 540.

(5) ص 607.

(6) ص 308.

ويأتي بعد ذلك القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي (ت 384هـ) وكنت أتوقع أن أجد في كتابه نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة كثيراً من شعر الخبزأرزي؛ لأن شاعرنا كان مقرباً من جدّه أبي القاسم التنوخي، وأبو القاسم هذا كان من ممدوحى شاعرنا، وكان أيضاً راوية لأشعاره، ولم أجد في نشوار المحاضرة سوى ثلاث مقطوعات وقصيدة، تتكوّن الأولى من ثلاثة أبيات مطلعها:

بعثت يا بذر بني يغرب بسبحة من سبع معجب⁽¹⁾
وقد أرسل هذه الأبيات مع سبحة سبع هدية إلى القاضي التنوخي، وتقع المقطوعة الثانية في ثلاثة أبيات أيضاً، ومطلعها:

ما جفاني من كان لي أنساً أنست شوقاً ببعض أنجابه⁽²⁾
وتتكون المقطوعة الثالثة من خمسة أبيات، وقد قالها بديهة وارتجالاً أثر حريق مريد البصرة، وذكرها بعده معجم الأدباء، ومطلعها:

أنتكم شهود الهوى تشهد فما تستطيعون أن تجحدوا⁽³⁾
أما القصيدة؛ فتقع في عشرين بيتاً، وهي في الحكمة والموعظة، ويبدوها بقوله:
لسان الفتى حنف الفتى حين يجهل

وكل امرئ ما بين فكّيه مقتل
إذا ما لسان المرء أكثر هذرة

فذاك لسان بالبلام موكل⁽⁴⁾

ونلتقي بعد ذلك بكتاب التحف والهدايا للخالدين أبي بكر محمد الخالدي المتوفى 380هـ وأبي عثمان سعيد الخالدي المتوفى 390هـ، وقد سبق كتابهما بعض المصادر في ذكر بعض الأبيات للخبزأرزي مثل قوله:

(1) 29 / 5

(2) 83 / 7

(3) 116 / 7

(4) 103 / 7

تَفَضَّلَ بِالْقَبُولِ عَلَيَّ إِنِّي بَعَثْتُ بِمَا يَقِلُّ لِعَبْدٍ عَبْدِكَ⁽¹⁾
وقد انفرد بذكر مقطوعة مكونة من خمسة أبيات قالها حين أهدى إليه ابن يزداد ثياباً
وطيباً ودنانير في بعض الأعياد، فقال يشكره في شعر طويل ذكر منه خمسة أبيات أولها:
فَاعْطَيْتَهَا تَحْكَى أَيْادِيكَ فِي الْوَرَى بِيَاضاً وَإِنْ كَانَتْ أَيْادِيكَ أَنْصَعَا⁽²⁾
وذكر مقطوعة أخرى وردت في كتاب المحبوب، وهي مقطوعة كتب بها إلى صديق
أهدى إليه آساً وورداً في أول ظهوره، وأولها :
أَبْدَعْتَ فِي كُلِّ الْمَكَارِمِ سَابِقاً حَتَّى لَقَدْ أَبْدَعْتَ فِي إِهْدَائِكَ⁽³⁾
كما ذكر ثلاثة الأبيات التي كتب بها إلى القاضي التنوخي عندما أهداه سبحة
سبع⁽⁴⁾ ووردت في كتاب نشوار المحاضرة .
ويلقانا بعد ذلك كتاب المنصف في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي ومشكل شعره
لأبي محمد الحسن بن علي بن وكيع التنيسي (توفي سنة 393هـ) الذي يعد من أهم مصادر
شعر الخبزارزي، إذ روى أكثر من عشرين بيتاً معظمها غير موجود في الديوان، وقد انفرد
بذكر بعضها، فلم يذكرها مصدر آخر سواء مثل قول الخبزارزي:
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَدْرُ الدَّجَى ذَا وَقَاحَةٍ
لَمَا كَانَ فِي أَرْضٍ بِهَا أَنْتَ يَطْلُعُ⁽⁵⁾
ومثل قوله:
مَا إِنْ تَرَكْتُ وَدَاعَهُ مِنْ مَلُوءٍ
وَلَقَدْ جَزَعْتُ لَبْنِهِ وَفِرَاقِهِ

(1) ص 234

(2) ص 66

(3) ص 67

(4) ص 32

(5) ص 486

ولكن مخافة أن تُذِيبَ فؤاده

نارٌ تعلقُ منه عندَ لقائه⁽¹⁾

ومن الأبيات التي سبق غيره بذكرها، وذكرتها مصادر أخرى جاءت بعده، قوله:

أنا غائبٌ والقلبُ عندك حاضِرٌ

سافرتُ عنك وما الفؤادُ مُسافرٌ⁽²⁾

ولم يذكر هذا البيت إلا في محاضرات الأدباء⁽³⁾.

وقوله في الرثاء:

فإن كان لم يحتل قبرا نزورةً فإن له في قلب كل امرئ قبرا⁽⁴⁾

وقد ذكر العكبري هذا البيت في شرح ديوان المتني المسمى بالتبيان في شرح

الديوان⁽⁵⁾.

ونلتقي بعد ذلك بآخر ثلاثة من مصادر شعر الخبزارزي، في هذا القرن، والأول

والثاني للإمام أبي هلال العسكري (توفي سنة 395) أما الكتاب الأول فهو "ديوان المعاني"

وقد انفرد هذا الكتاب برواية قصيدة من ثلاثة عشر بيتاً، وهي من عجيب ما قيل في قلة

الطعام على المائدة ويبدوها بقوله:

من حديثي أن ابن بكرٍ دعاني لشقائي فليته ما دعاني

غرني منه منظرٌ ولباسٌ وأثاثٌ ومجلسٌ وأواني⁽⁶⁾

وذكر كذلك بيتين من ضمن مقطوعة من ستة أبيات ذكرتها مصادر كثيرة جاءت

بعده وهما:

قد كان لي فيما مضى خائمٌ فاليوم لو شئتُ لمنطقتُ به

(1) ص 542.

(2) ص 361.

(3) 63 / 3.

(4) ص 312.

(5) 194 / 4.

(6) 297 / 1.

وَذُبْتُ حَتَّى صِرْتُ لَوْ زُجُّ بِي فِي مُقْلَةِ الثَّائِمِ لَمْ يَتَّيَسَّرْ⁽¹⁾
وروى أيضاً بيتاً في وصف الشعر⁽²⁾ وقد ذكره بعده النويري في نهاية الأرب في فنون
الأدب⁽³⁾، وبيتين في معاتبة من أكل التفاح وقد وردا في الديوان⁽⁴⁾ والكتاب الثاني هو كتاب
الصناعتين، الكتابة والشعر وقد ذكر بيتين وردا في ديوان الخبزارزي، ولكن أبا هلال
العسكري لم ينسبهما إلى أحد، وهما:

لِلَّهِ مَا صَنَعْتَ بِنَا تِلْكَ الْحَاجِرُ فِي الْمَعَاجِرِ
أَمْضَى وَأَنْفَذَ فِي الْقُلُوبِ بِمِنْ الْحَنَاجِرِ فِي الْحَنَاجِرِ⁽⁵⁾

والمصدر الثالث مقامات بديع الزمان الهمذاني المتوفى 398هـ الذي انفرد بذكر
بيت من الشعر للخبزارزي لم يذكره مصدر آخر سواه⁽⁶⁾، وهو:

تَقْشَعُ غَيْمُ الْهَجْرِ عَنْ قَمَرِ الْحُبِّ وَاشْرِقَ نَوْرُ الصُّلْحِ عَنْ ظُلْمَةِ الْعُشْبِ

ومع القرن الخامس الهجري، نلتقي بأهم مصادر شعر الخبزارزي، وأعظمها فائدة
لأنها تروي لنا كثيراً من شعر الخبزارزي، وأول هذه المصادر كتاب الممتع في صنعة الشعر⁽⁷⁾
لعبد الكريم النهشلي القيرواني، وكان أستاذاً لابن رشيق القيرواني، ويذكر اسمه كثيراً في
كتابه العمدة وقد توفي سنة (405هـ)، ونجد في هذا الكتاب قصيدة للخبزارزي، تقع في ثلاثة

(1) 272/1.

(2) 246/1.

(3) 18/2.

(4) 37/2.

(5) ص 367.

(6) ص 149.

(7) نشر الكتاب أولاً بتحقيق د. المنجي الكعبي، ثم نشر مرة أخرى بتحقيق د. محمد زغلول سلام، وقد نشر الدكتور: عبده
عبد العزيز قلقيلة كتاباً أسماه الممتع في أن هدي كامل المبرد ليس الممتع، وقد أوضح فيه أن الكتاب هو هدي كامل المبرد
وليس كتاب الممتع في صنعة الشعر وقد نشر الدكتور محمد مصطفى هدارة مقالاً في مجلة عالم الكتب نقد فيه تحقيق
الدكتور محمد زغلول سلام نقداً شديداً - انظر المقال في عالم الكتب: المجلد الثالث، العدد الثاني، شوال 1402هـ من
ص 216 إلى ص 229.

عشر بيتاً، وهي في باب: دفاع الشر بالشر، وقد انفرد الممتع بذكرها، فلم يذكرها مصدر آخر سواه، ومطلع هذه القصيدة:

فعالك بي أضحت فؤادي من السكر
فلم تبق لي إلا خمّاراً من الذكر
ولما بدت رايات غدرك خاذلاً
تناجرت لي خيل السلو إلى نصري⁽¹⁾

ونلتقي بعده بخمسة مصادر لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الشعالي النيسابوري (توفي سنة 429هـ) وأول هذه المصادر وأهمها "يتيمة الدهر" في محاسن أهل العصر" ونجد فيه قرابة الثلاثين بيتاً، ورد معظمها في الديوان، ولكنه انفرد بذكر بعض الأبيات؛ فلم يذكرها مصدر آخر سواه، مثل البيتين الآتين:

تجنّني عليّ ذنباً وتعتلّ
بأن قد رأيت مني ذلّة
لعن الله قرينة ليس فيها
لفتى يطلب الثعلبة علّة⁽²⁾
مثل قوله:

وددت أني بكفّ قلم
أو أني مودة على قلم
ياخذني مرة ويلثمني
إن علقت منه شجرة بقمه⁽³⁾

ونجد فيه أيضاً أبياتاً سبق غيره بروايتها، وذكرتها مصادر أخرى جاءت بعده، وعلى أية حال، فكتاب "يتيمة الدهر" يعد من الكتب المهمة في توثيق شعر الخبزارزي. وكتابه الثاني "خاص الخاص" الذي جاء فيه سبعة أبيات في ثلاث مقطوعات تحت عنوان: من ملح غرره،

مثل قوله:

خليلي هل أبصرثما أو سمعثما
بأكرم من مولى تمشّى إلى عبد

(1) ص 291.

(2) 134/2.

(3) 367/2.

أتى زائراً من غير وعدٍ وقال لي أصونك من تعليق قلبك بالوعدِ
وقد ورد بعضها في الديوان، أو في يتيمة الدهر⁽¹⁾.

أما الكتاب الثالث، فهو المنتحل⁽²⁾ وجاء فيه بيتان وردا في يتيمة الدهر⁽²⁾.

والكتاب الرابع: التوفيق للتلفيق⁽³⁾ إذ ورد فيه بيتان وردا في الديوان⁽³⁾، وأولهما:

متهودٌ صبغَ الهوى لَوْنِي لَهْ فَأَذَابَ جَسْمِي فِي الْهَوَى تَذْكَارَهْ

والكتاب الخامس والأخير للثعالبي ثمار القلوب في المضاف والمنسوب⁽⁴⁾ إذ ورد فيه

ثلاثة أبيات من قصيدة وردت في الديوان، أولها:

بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَا ظَلُومُ الْمَوْقِفُ الْحَاكِمُ الْعَدْلُ الْجَوَادُ الْمُنْصِفُ

وأرقام الأبيات التي وردت في هذا الكتاب هي: 14، 15، 16⁽⁴⁾.

كما ورد فيه بيت مفرد للخبزارزي⁽⁵⁾ وهو:

وَلَوْ جَمَلُ السَّقَايَةِ لَقَبُوهُ بِمَغْشُوقٍ تَحَرَّى أَخَذَ رُوحِي

وقد ورد هذا البيت مع اختلاف في الألفاظ ضمن ثلاثة أبيات غير معزوة في حماسة

الظرفاء، وروي الشطر الثاني بصورة مختلفة .

ونلتقي بعد كتب الثعالبي بكتاب "حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء" لأبي

محمد عبد الله بن محمد العبدلكاني الزوزني، المتوفي سنة 431هـ، ويعد هذا الكتاب من

الكتب المهمة في توثيق شعر الخبزارزي؛ إذ نجد فيه عشرين بيتاً ورد معظمها في الديوان،

ولكننا نجد فيه مقطوعة من ستة أبيات سبق غيره بروايتها، وقد ذكرت بعض المصادر أبياتاً

منها، ومطلع هذه المقطوعة:

(1) ص 141

(2) ص 129

(3) ص 12

(4) ص 478

(5) ص 355

إِذَا كُنْتُ أَلْقَى الْبُؤْسَ عِنْدَ أَحِبَّتِي

تَرَى عِنْدَ أَعْدَائِي يَكُونُ رِخَائِي⁽¹⁾

وبعده بعامين نلتقي بالعميدي، أبي سعيد محمد بن أحمد، المتوفى سنة 433هـ وقد روى في كتابه الإبانة عن سرقات المتنبي قرابة الثلاثين بيتاً انفراد بذكر معظمها، فلم يذكرها مصدر آخر سواه، من مثل:

قَابِلْتُ عُرْفَكَ وَهُوَ غَيْرُ مُكَدِّرٍ

بِجَمِيلٍ شُكْرِي وَهُوَ غَيْرُ مُقْتِرٍ

فَعَدَوْتُ مَا اسْتَصْغَرْتُ مَا أَوْلَيْتُهُ

وَرَأَيْتَنِي فِي الشَّوْقِ كَالْمُسْتَقْصِرِ⁽²⁾

ومثل قوله:

إِذَا ابْتَسَمْتَ أَحْيَيْتَ نَفْساً وَأَطْرَبْتَ

قُلُوباً وَقَوَّتَ جِسْمَ كُلِّ عَلِيلٍ

وغير جميل أن أعافى وجسم من

كَلَفْتُ بِهِ يَتَقَى كَجِسْمِ عَلِيلٍ⁽³⁾

ونجد فيه بعض الأبيات التي سبق غيره بذكرها، من مثل قوله:

إِنَّ نَفْسِي تَذُوبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ

خَسَرَاتٍ وَمِنْ جَفَوْنِي تَسِيلٌ⁽⁴⁾

(1) 185/1.

(2) ص 143.

(3) ص 149.

(4) ص 167.

وقوله:

وما حاجة الركب السراة إذا بدا

لهم وجهه ليلاً إلى طلعة البدر⁽¹⁾

ولم يذكر هذا البيت، والذي قبله سوى الصبح المنى عن حيشة المتنبى للشيخ يوسف البديعي⁽²⁾.

وبعد العميدي بثلاثة أعوام نلتقي الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي (توفي سنة 436هـ)، وقد ذكر في كتابيه: "طيف الخيال" و"الأمالي" ثلاثة أبيات، واحداً في الكتاب الأول⁽³⁾، وقد سبقته مصادر أخرى بروايته، وبيتين في كتابه الثاني⁽⁴⁾ ذكرنا في "معجم الأدباء" لياقوت الحموي الذي توفي في القرن السابع الهجري، ولم يذكرنا في مصدر آخر سواهما، وهذان البيتان هما:

فلا تعن لتحذيف تكلفه لصورة حسنهما الأصلي يكفيها

إن الدنانير لا تجلى وإن عتقت ولا تزاؤ على النقش الذي فيها⁽⁵⁾

ونلتقي بعد ذلك بكتاب الجواهر في معرفة الجواهر للبيروني، أبي الريحان محمد بن أحمد المتوفى 440 هـ إذ ورد فيه بيتان للخيزارزي⁽⁶⁾ سبقه بذكرهما كتاب المحبوب للسري الرفاء، وأول هذين البيتين:

دُرِّيَّة اللون فيه مشرقة حُمْرَةٌ خَمَرٍ ثَمَازِجُ اللبنا

ويلقانا بعد ذلك، كتاب أدب الدنيا والدين للماوردي (ت سنة 450هـ)، وقد ذكر

فيه بيتان انفرد بروايتهما، فلم يذكرهما مصدر آخر سواهما، وهما:

صِلْ مَنْ دَنَا وَتَنَاسَ مَنْ بَعُدَا لَا تُكْرِهَنَّ عَلَى الْهَوَى أَحَدَا

(1) ص 99.

(2) ص 259، ص 73.

(3) ص 101.

(4) 575 / 1.

(5) 221 / 18.

(6) ص 540.

قَدْ أَكْثَرَتْ حَوَاءٌ إِذْ وَلَدَتْ فَإِذَا جَفَا وَلَدٌ فَخُذْ وَلَدًا⁽¹⁾

ونلتقي بعد ذلك كتاب العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، المتوفى سنة 456هـ، وهو قليل الأهمية بالنسبة إلى شعر الخبزارزي؛ إذ لم يذكر إلا بيتين في الغلو⁽²⁾، وقد سبق ذكرهما في مصادر كثيرة.

ويلقانا بعد ذلك كتاب تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة 463هـ للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، المتوفى سنة 463هـ، ولجد فيه ستة وثلاثين بيتاً، وجميعها سوى ثلاثة أبيات ذكرت في الديوان، أو في مصادر أخرى سابقة، أما ثلاثة الأبيات التي سبق تاريخ بغداد غيره من المصادر بذكرها، فمطلعها:

كَمْ شَهْوَةٌ مُسْتَقَرَّةٌ فَرَحًا قَدْ انْجَلَّتْ عَنْ حُلُولِ آفَاتٍ⁽³⁾

وقد ذكرت بعد ذلك في كتاب الكنى والألقاب⁽⁴⁾ لعباس القمي

واهم من كتاب تاريخ بغداد نلتقي بكتاب بهجة المجالس وأنس المجالس وشهد الزاهن والمهاجس لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي المتوفى في العام نفسه الذي توفي فيه البغدادي وهو 463هـ ولجد فيه بيتا ورد في الديوان، وهو:

كأَنَّمَا الدَّهْرُ أَغْرَى بَيْنَنَا حَسَدًا وَنِعْمَةُ اللَّهِ مَقْرُونٌ بِهَا الْحَسَدُ
وهو العاشر في القصيدة⁽⁵⁾.

وورد فيه خمسة أبيات من قصيدة تقع في واحد وعشرين بيتا وردت في نشوار المحاضرة للتنوخي، وأولها:

لِسَانُ الْفَتَى حَتَفَ الْفَتَى حِينَ يَجْهَلُ وَكُلُّ امْرِئٍ مَا بَيْنَ فُكَيْهِ مَقْتُلُ
وأرقام الأبيات الواردة في بهجة المجالس: 1 - 3، 18، 20⁽⁶⁾.

(1) ص 328.

(2) 51 / 2.

(3) 296 / 13.

(4) 304 / 2.

(5) 415 / 1.

(6) 439، 86 / 1.

وأورد في كتابه "جامع بيان العلم وفضله" ستة أبيات من القصيدة نفسها⁽¹⁾.
وانفرد بذكر مقطوعتين لم تذكر في مصدر آخر سواء، تقع الأولى في بيتين أولهما:
وَتَعَائِبُ الْإِخْوَانِ فِيمَا بَيْنَهُمْ بَعَثَ عَلَى الْإِحْلَالِ وَالْإِحْرَامِ⁽²⁾
وتقع المقطوعة الثانية التي انفرد بذكرها في أربعة أبيات أولها:
إِنْ كَانَ لَفْظِي كَرِيهَا فَاصْطَبِرْ فَعَلَى كُرْهِ الْعِلَاجِ يَصِحُّ اللَّهُ أَبَدَانَا⁽³⁾
وبعده نلتقي بكتاب "يوميات أديب" للباخرزي، علي بن الحسين بن أبي الطيب
المتوفى 467هـ إذ أورد أربعة أبيات وردت في الديوان، وفي مصادر كثيرة قبله وبعده،
ومطلع القصيدة التي وردت فيها تلك الأبيات:
يَقُولُونَ صَفْ حَرْبَ الرِّعْيَةِ وَالْجُنْدِ وَصُلِّحْ رِجَالَ مَنْ بِلَالٍ وَمَنْ سَعْدِ⁽⁴⁾
ثم نلتقي بالجرجاني المتوفى 482هـ، وكتابته المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات
البلغاء ونجد فيه بيتين وردا في مصادر أخرى سبقته، وأولهما:
قَالُوا عَشِيقَتَ صَغِيرًا قُلْتُ أَرْتَعُ فِي رَوْضِ الْمَحَاسَنِ حَتَّى يُذْرَكَ الشَّعْرُ⁽⁵⁾
وقبل نهاية القرن نلتقي بأبي عبيد البكري الأونبي المتوفى 487هـ الذي ذكر في
كتابته "سمط اللآلي في شرح أمالي القالي" مقطوعة تقع في أربعة أبيات أولها:
وَمِنْ طَاعَتِي إِيَّاهُ يُنْظَرُ نَاطِرِي إِذَا هُوَ أَبَدَى مِنْ ثَنِيَاءٍ لِي بَرْقَا⁽⁶⁾
وقد نسبت في مصادر أخرى إلى غير الخبزارزي.
وقد انفرد هذا الكتاب بذكر بيتين لم يذكر في مصدر سواء أولهما:
كُلُّ جَرِيحٍ تُرْجَى سَلَامَتُهُ إِلَّا جَرِيحاً ذَهَبَتْ عَيْنَاهَا⁽⁷⁾

(1) 138 / 1

(2) 726 / 1

(3) 727 / 1

(4) ص 54

(5) ص 33

(6) 178 / 1

(7) 498 / 1

وبعده بعام نلتقي بكتاب "جذوة المقتبس في علماء الأندلس" لأبي عبد الله محمد بن فتوح الحميري المتوفى 488هـ ونعثر فيه على أبيات الخبزأرزي التي قالها في حريق المربد، وأوردها نشوار المحاضرة للتخوخي، ووردت بعد ذلك في مصادر أخرى كثيرة، والكتاب ليس بذی فائدة تذكر بالنسبة إلى شعر الخبزأرزي⁽¹⁾.

ونلتقي في نهاية هذا القرن بأهم مصدر لشعر الخبزأرزي على الإطلاق وهو كتاب "محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء" للراغب الأصبهاني أبي القاسم حسين بن محمد، المتوفى سنة 500 وقد ذكر قرابة الثمانين بيتاً، انفرد بذكر معظمها، فلم يذكرها مصدر آخر سواه، أو على الأقل سبق غيره بذكرها، منها على سبيل المثال قوله:

ظلمت سراً وتستعدي علانية ألهبت ناراً وتستعفي من اللهب⁽²⁾
وقوله:

رعاة الله حيث غدا وسارا وأعقبه الغنيمه والإيابا⁽³⁾
وقوله:

عجبت وأعجب مني امرؤ رأى ما رأيت ولم يعجب⁽⁴⁾
وقوله:

وذو الهموم نسيته وتعجل اللذات نقدا⁽⁵⁾
وقوله:

إذا سألوني عنك مؤقت قصتي

ولجلجت لجلاج الضفادع في البحر⁽⁶⁾

(1) ص 223

(2) 221 / 1

(3) 412 / 2

(4) 702 / 4

(5) 674 / 2

(6) 105 / 3

ويبدأ القرن السادس الهجري، فتقل المصادر التي تروي شعر الخبزأرزي، فلا نجد سوى أربعة مصادر مات معظم أصحابها في النصف الثاني من هذا القرن، وأول هذه المصادر الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام المتوفى 542هـ إذ ورد فيه مقطوعة تقع في خمسة أبيات قالها الخبزأرزي ارتجالاً في حريق المريد، وقد وردت في مصادر كثيرة سابقة مع اختلاف في بعض الألفاظ⁽¹⁾.

وثاني هذه المصادر الأنساب لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، المتوفى سنة 562هـ، ولا نجد فيه سوى مقطوعة تقع في خمسة أبيات⁽²⁾ وردت في الديوان، وسبقته مصادر كثيرة بروايتها.

وثالث هذه المصادر البديع في نقد الشعر لأسماء بن منقذ المتوفى سنة 584هـ ونجد فيه عشرة أبيات للخبزأرزي، وقد ذكرت جميعها، إلا بيتاً واحداً، في الديوان أو في مصادر أخرى سابقة، والبيت الذي انفرد البديع بذكره هو:

ظلموك إذ عَقَدُوا لخصركَ مُرَهَفاً

ما للظباء وما ليَحْمِلِ المُرَهَفُ⁽³⁾

وقبل نهاية هذا القرن بثلاثة أعوام نلتقي بالمصدر الرابع والأخير من مصادر شعر الخبزأرزي، وهو كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، المتوفى سنة 597هـ، ولا نجد فيه سوى خمسة أبيات ذكرت في الديوان وفي مصادر أخرى سابقة.

وفي أوائل القرن السابع الهجري نلتقي بكتاب بدائع البدائة لعلي بن ظافر الأزدي، المتوفى سنة 613هـ ونجد فيه مقطوعتين⁽⁴⁾.

(1) ق 4-1 / 123

(2) 40 / 5

(3) ص 230

(4) 329 / 6

تتكوّن الأولى من أربعة أبيات نظمها بناءً على طلب أبي الحسن بن المثنى أثر حريق سوق المربد⁽¹⁾ وقد سبق ذكرها في "نشوار المحاضرة" أما المقطوعة الثانية فتقع في خمسة أبيات⁽²⁾، وقالها ردّاً على صديقه ابن لنكك البصري، وقد ذكرت في الديوان وفي مصادر أخرى سابقة. وولتقي بعده بشرح أبي البقاء العكبري لديوان أبي الطيب المتنبّي المسمى "بالتبيان في شرح الديوان" وقد توفي العكبري في سنة 616. ونجد في التبيان عشرة أبيات للخبزارزي ذكر معظمها في المنصف في نقد الشعر⁽³⁾ ولكنه انفرد بذكر بعض الأبيات فلم تذكر في مصدر آخر سواه من مثل قول الخبزارزي في الهجاء:

فَأَنْتَ فِي الْخُلُقِ لَا وَجْهَ وَلَا بَدَنٌ وَأَنْتَ فِي الْخُلُقِ لَا عَقْلَ وَلَا أَدَبٌ⁽³⁾

ويأتي بعد ذلك الشريشي أبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي (ت سنة 619هـ) مؤلف "شرح مقامات الحريري" الذي يروي أبياتاً عديدة للخبزارزي، منها بيتان في الغزل وقد ذكرهما صاحب اليتيمة، وخمسة أبيات في الرد على ابن لنكك، وقد وردت في مصادر أخرى كثيرة بالإضافة إلى ورودها في الديوان، وبيت واحد في هجاء طيب، ذكر في البديع في نقد الشعر وفي حماسة الظرفاء، ومنها بيتان في الغلو ذكرا في العمدة وفي مصادر أخرى كثيرة، وانفرد بذكر أربعة أبيات، نصفهما في عدم الحكم على الشخص بالمظهر وهما:

لَا تُنْظَرَنَّ إِلَى أَثْوَابٍ مُعْتَرِبٍ نَائِي الْمَحَلِّ بَعِيدِ الْأَهْلِ وَالْذَّارِ

وَانْظُرْ إِلَيْهِ إِذَا مَا قَامَ فِي مَلَأٍ يَمُنْطِقُ لِذَوِي الْأَبَابِ سَحَارٍ⁽⁴⁾

والبيتان الآخران نسبا في مصادر أخرى إلى غيره، ولم ينسبهما إلى شاعرنا غيره وهما:

وَيَنْفَسِي مَنْ إِذَا خُمُشْتُهُ نَسَرَ الْوَرْدُ عَلَيْهِ وَرَقَّةُ

(1) ص 348.

(2) ص 350.

(3) 359/2.

(4) 201/2.

وَإِذَا مَسَّتْ يَدِي طُرْتُةً أَفَلَأَتَتْ مِنْهُ فَعَادَتْ خَلْقَةً⁽¹⁾

وبعده بسبعة أعوام نلتقي بمصدرين من مصادر شعر الخبزأرزي وهما لشهاب الدين، أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي المتوفى 628هـ وهما معجم البلدان الذي لم يذكر إلا مقطوعة واحدة قالها في حريق المريد⁽²⁾، وقد ذكرتها مصادر أخرى قبله، ومعجم الأدباء⁽³⁾ الذي ذكر تسعة عشر بيتاً ذكرت جميعها في الديوان، أو في مصادر أخرى سابقة، وهو بهذا يعدّ من مصادر توثيق شعر الخبزأرزي وبعد ذلك يأتي كتاب اللباب في تهذيب الأنساب لعز الدين ابن الأثير الجزري، المتوفى سنة 630هـ، ونجد فيه خمسة أبيات للخبزأرزي⁽⁴⁾، قالها ردّاً على صديقه ابن لنكك البصري، وقد ذكرتها مصادر كثيرة قبله.

وقبل نهاية القرن بتسعة عشر عاماً نلتقي بمصدر مهم من مصادر شعر الخبزأرزي وهو كتاب "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان المتوفى سنة 681.

ونجد فيه أكثر من خمسة وثلاثين بيتاً للخبزأرزي ذكر معظمها في الديوان وفي اليتيمة وفي مصادر أخرى قبله، ولكنه انفرد بذكر مقطوعة تقع الأولى في تسعة أبيات وهي في العتاب ومطلعها:

كَمْ أَقَاسِي لَدَيْكَ قَالاً وَقِيلاً وَعِدَاتٍ ثَرَى وَمَطْلَأَ مَطِيلاً
جُمُعَةً تَقْضِي وَشَهْرَ يَوْلي وَأَمَانِيكَ بَكْرَةً وَأَصِيلاً⁽⁵⁾
أما المقطوعة الثانية؛ فقد قالها في غلام يُلُغُّ بالراء، ومطلعها:

وَشَادِنٍ بِالكَرْخِ ذِي لُغْفَةٍ وَإِنَّمَا شَرَطِي فِي اللُّغْفِ⁽⁶⁾

(1) 430 / 1

(2) 484 / 4

(3) 218 / 19 وما بعدها.

(4) 419 / 1

(5) 377 / 5

(6) 10 / 6

ويبدأ القرن الثامن الهجري، فتكثر المصادر التي تورد أشعاراً للخبزارزي وأول هذه المصادر وأهمها، إن لم يكن أهم مصدر روى شعراً للخبزارزي، كتاب الدر الفريد وبيت القصيد" لمؤلفه محمد بن أيدير المتوفى سنة 710هـ، وقد ذكر مجموعة كبيرة من قصائد ومقطوعات وأبيات للخبزارزي، ويهمني هنا الأشعار التي انفرد بذكرها؛ فلم يذكرها مصدر آخر سواه، ويبلغ عدد الأبيات التي رواها، ولم نعر عليها في الديوان، أو في أي مصدر آخر سبعة وثلاثين بيتاً مثل مقطوعته البائية ومطلعها:

يا ظالماً يتجنى جئت بالعجبِ أشغبت كيما تغطي الذنب بالشغب⁽¹⁾
وورد من هذه المقطوعة بيت واحد في محاضرات الأدباء مع اختلاف في بعض الألفاظ وهو:

ظلمت سراً وتستعدي علانية أضمرت ناراً وتستعفي من اللهب⁽²⁾

ومنها أبيات مأخوذة من قصيدة طويلة مطلعها:

نرى حرمت كُتبُ الأخلاء بينهم ابن لي أم القرطاسُ أصبح غالياً⁽³⁾
وعدد الأبيات التي اختارها ابن أيدير من هذه القصيدة عشرة أبيات. ومنها مقطوعة نونية تقع في أربعة أبيات مطلعها:

لي حبيب خياله نصب عيني واسمه في سرائري مكنون⁽⁴⁾
ومنها مقطوعة دالية تقع في ثلاثة أبيات أولها:

لك ذنب لا عذر عنه ولكن قد قبلنا شفاعته ابن الوليد⁽⁵⁾
ومنها مقطوعتان في الزهد تقع كل واحدة منهما في ثلاثة أبيات، مطلع الأولى:

(1) الدر الفريد وبيت القص يد - محمد بن أيدير - 57/4 نسخة مص ورة أص درها فؤاد سنركين 1410هـ-1989م
عن تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت.

(2) 221 / 1

(3) نفسه 3/130.

(4) نفسه 5/15.

(5) نفسه 2/285، 5/51.

أرى الناس في الدنيا كراعٍ تُشعَّبَت
وأول المقطوعة الثانية:

أيا عجباً منا ومن طولِ سَعِينَا
ومنها هذا البيت:

وَفِرْعَوْنُ يَغْرِفُ رِيَّةً
وهذا البيت:

إِنِّي لَأَعْجَبُ مِمَّنْ ظَلَّ مُفْتَخِرًا
وهذا البيت:

رِعَاةُ اللَّهِ حَيْثُ غَدَا وَسَارَا
وأعقبه السلامة واليسارا⁽⁵⁾

وروى مجموعة كبيرة من أبيات الخبزأرزي لجدّها في الديوان، وفي مصادر أخرى سبقتة. وثاني هذه المصادر تاريخ أبي الفداء للملك المؤيد إسماعيل أبي الفداء صاحب حماة المتوفى سنة 732هـ وقد ذكر أربعة أبيات قالها الخبزأرزي ردّاً على ابن لنكك⁽⁶⁾، وقد وردت في مصادر كثيرة قبله. أما المصدر الثالث فهو نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري المتوفى سنة 733هـ ونجد فيه ثلاثة وثلاثين بيتاً من مثل قوله:

صَلْ بِخَدِي خَدِّكَ تَلَقَّ عَجِيئًا
فَبِخَدِّكَ لِلرَّيِّعِ رِيَّاضٌ
من معانٍ يَحَارُ فِيهَا الضَّمِيرُ
وبِخَدِّي لِلدَّمُوعِ غَدِيرٌ⁽⁷⁾
وقوله من مقطوعة:

(1) 230/4

(2) 168/5

(3) 288/5

(4) 53/3

(5) 35/2

(6) 80/2

(7) 76/2

أَهْيَفُ يَحْكِي بِقَدِّهِ الْأَلْفَا يَخْسِرُ مَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ كُلفًا⁽¹⁾
وقوله:

أَظْهَرَ الْكَرِيَاءَ مِنْ فَرْطِ زَهْوٍ فَتَلَقَّيْتَهُ بِذُلِّ الْخَضُوعِ
وَحَبَانِي رِيْعُ خَدَّيْهِ بِالْوَرِّ دِ فَاْمَطَّرْتُهُ سَحَابَ الدَّمُوعِ⁽²⁾

أما المصدر الرابع وهو كتاب: شرح المضمون به على غير أهله للخزرجي شرح عبيد الله بن الكافي العبيدي المتوفى 734هـ وقد أورد بيتين وردا في ديوانه، وهما ضمن مقطوعة من ستة أبيات، وهذان البيتان هما:

صَحْبَتُهُ عِنْدَ الْمَسَاءِ فَقَالَ لِي تَهْزَا بِقَدْرِي أَوْ تَرِيدُ مَزَاحَا
فَأَجَبْتُ إِشْرَاقُ وَجْهِكَ غَرْنِي حَتَّى تَوَهَّمْتَ الْمَسَاءَ صَبَاحَا⁽³⁾

ولا نجد في المصدر الخامس من مصادر هذا القرن وهو "تاريخ ابن الوردي" لصاحبه زين الدين عمر بن الوردي المتوفى سنة 749هـ سوى الأبيات التي قالها الخبزارزي رداً على صديقه ابن لنكك البصري⁽⁴⁾ وقد وردت في مصادر كثيرة سابقة .

والمصدر السادس هو كتاب "نصرة الثائر على المثل السائر" لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي المتوفى 764هـ إذ ورد فيه ثلاثة أبيات وردت في الديوان ضمن مقطوعة من خمسة أبيات أولها:

إِنِّي لِأَخْسَدُ مُقَلَّتِي عَلَيْكَ حَتَّى أَغْضُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ⁽⁵⁾
ويحسب لهذا الكتاب أنه انفراد بذكر بيتين قالهما في زهر النيلوفر هما:
خَافَ الْمَلَالُ إِذَا طَالَتْ إِقَامَتُهُ فَصَارَ يَظْهَرُ أَخْيَانَا وَيَحْتَجِبُ

(1) 101 / 2.

(2) 76 / 2.

(3) ص 325

(4) 261 / 1

(5) ص 279

كأنه حين يبدو من مطالعِهِ صَبٌّ يُقْبَلُ حَيًّا وهو يرتقب⁽¹⁾
ونلتقي بعد ذلك بكتاب 'مرآة الجنان وعبرة اليقظان' في معرفة ما يعتبر من حوادث
الزمان 'لليافعي، أبي محمد عبد الله بن أسعد بن سليمان المتوفى 768هـ الذي أورد
مقطوعة تقع في ثلاثة أبيات وردت في مصادر قبله⁽²⁾.
كما وردت فيه أربعة أبيات وردت ضمن قصيدة في الديوان، ووردت هذه الأبيات
في مصادر سابقة⁽³⁾.

ونلتقي بعد ذلك بكتاب 'نزهة الأبصار في محاسن الأشعار' لشهاب الدين أبي
العباس أحمد بن محمد العنابي المتوفى 776هـ، وديوان الصبابة لابن أبي حجلة المغربي
المتوفى في السنة نفسها، وقد انفرد الكتاب الأول بإيراد مقطوعة مكونة من ثمانية أبيات
أولها:

اعلم بأن صداقة الأحرار أن تجعل الإعلان كالإسرار⁽⁴⁾
وذكر بيتين وردا في الديوان⁽⁵⁾ كما ورد فيه بيتان هما الأول والثاني من مقطوعة
وردت في الديوان مكونة من ستة أبيات وأولهما:
أهل الغرام إذا ما استعطفوا عطفوا والحر يغضي ويعفو وهو معترف⁽⁶⁾
أما الكتاب الثاني، وهو ديوان الصبابة، فقد أورد بيتين نسبا إلى الخبزأرزي سبق
ذكرهما في مصادر سابقة⁽⁷⁾.

وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أنه انفرد بذكر مقطوعة من ثلاثة أبيات لم نجدها في
مصدر آخر سواه، وأول هذه الأبيات:

(1) ص 230

(2) 267/2

(3) 275/2

(4) ص 150

(5) ص 222

(6) ص 88

(7) ص 257

ولكن أرواحَ المحبين تلتقي إذا كانت الأجسادُ عنهنَّ لوماً⁽¹⁾

ولا نلتقي في النصف الأول من القرن التاسع الهجري بأي مصدر من مصادر شعر الخبزأرزي، وفي النصف الثاني من القرن نلتقي بمصدر واحد فقط، وهو النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي المتوفى سنة 874هـ، ونجد فيه عشرين بيتاً للخبزأرزي⁽²⁾ ذكرت جميعها في مصادر سابقة؛ فهو يعد مصدراً من مصادر توثيق شعر الخبزأرزي.

وفي النصف الأول من القرن العاشر الهجري نلتقي بكتاب إتحاف النبلاء لجلال الدين السيوطي المتوفى 911هـ الذي برغم تأخره انفرد بذكر بيتين للخبزأرزي هما:

شكوتُ جلوسَ إنسانٍ ثقیل فجاوبني بمن هو أثقل
فكنتُ كمن شكَا الطاعون يوماً فزادوه مع الطاعون دُملاً⁽³⁾

وفي النصف الثاني من القرن العاشر الهجري يلقانا مصدر مهم من مصادر شعر الخبزأرزي: وهو "معاهد التنصيص على شواهد التلخيص" لمؤلفه عبد الرحيم بن أحمد العباسي، المتوفى سنة 963 وقد ذكر اثني عشر بيتاً للخبزأرزي، ونسب بيتين وردا في ديوان الخبزأرزي إلى المظفر بن كيغلغ⁽⁴⁾، وترجع أهمية هذا المصدر إلى أنه انفرد بذكر سبعة أبيات لم يذكرها مصدر آخر سواه، منها أربعة أبيات في وصف الشقائق⁽⁵⁾ ورد بيتان منها في نهاية الأرب⁽⁶⁾ ونسباً فيه لابنه أبي طاهر بن الخبزأرزي ومطلع هذه الأبيات:

وَرَوْضَةٌ رَاضَتْهَا التَّدَى فَعَدَّتْ لَهَا مِنَ الزَّهْرِ الْجُذْمُ زُهْرٌ

وثلاثة أبيات الملح فيها إلى قصة يوشع بن نون، فتى موسى عليه السلام، واستيقافه الشمس⁽⁷⁾، وبيتان في رجل اسمه سحبان⁽⁸⁾.

(1) ص 15

(2) 276/3 وما بعدها.

(3) مجلة عالم الكتب بالرياض نيسان 1983م ص 92

(4) 29/3

(5) 6/2

(6) 265/11

(7) 197/4

(8) 241/3

وفي القرن الحادي عشر نلتقي بثلاثة مصادر من مصادر شعر الخبزأرزي، وأول هذه المصادر كتاب الكشكول لبهاء الدين العاملي المتوفى سنة 1031هـ، ولجد فيه خمسة أبيات قالها شاعرنا رداً على صديقه ابن لنكك⁽¹⁾، وقد وردت في مصادر أخرى سابقة.

ويذكر المصدر الثاني وهو الصبح المنبي عن حيشة المتنبي للشيخ يوسف البديعي المتوفى سنة 1073هـ، أربعة عشر بيتاً للخبزأرزي ورد معظمها في الإبانة عن سرقات المتنبي وفي المنصف في نقد الشعر وشرح ديوان المتنبي للعكبري ولكنه انفرد بذكر بعض الأبيات، لم يذكرها مصدر آخر سواه، منها ثلاثة أبيات تقع في مقطوعة واحدة مطلعها:

وشادن زرتنه فرحُـب بي ترحيبُ جانٍ على مواليه⁽²⁾

أما المصدر الثالث فهو "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى سنة 1089هـ، وقد روى أربعة أبيات⁽³⁾ وردت في مصادر كثيرة قبله.

ونلتقي في القرن الثاني عشر الهجري بمصدر واحد فقط من مصادر شعر الخبزأرزي، وقد روى ثلاثة عشر بيتاً ذكرت كلها في الديوان، وفي مصادر أخرى سابقة، فهو يعد مصدراً من مصادر توثيق شعر الخبزأرزي، وهذا المصدر هو: أنوار الربيع في ألوان البديع⁽⁴⁾ للسيد علي صدر الدين بن معصوم المدني المتوفى سنة 1120هـ.

ولست أدعي أنني استطعت حصر ما ورد في المصادر جميعها من شعر الخبزأرزي، وربما يكون قد فاتني شعر له سهوت عنه، بالإضافة إلى أن كثيراً من مصادرنا العربية ما زال مخطوطاً في مختلف مكتبات العالم، ولكنني بحثت ما وسعني البحث في جميع المصادر التي بين أيدينا، ولم أوفر - في ذلك - الجهد والطاقة.

(1) 314 / 2.

(2) ص 253.

(3) 276 / 2.

(4) 267، 98 / 4.

رواة أشعاره

روى عن الخبزأرزي قصائد ومقطعات من شعره جماعة من العلماء والرواة منهم: المعافى بن زكريا الجريري النهرواني المعروف بابن طرار الإمام المشهور، وهو من أتباع مذهب محمد بن جرير الطبري⁽¹⁾، جاء في تاريخ بغداد⁽²⁾: أخبرنا محمد بن علي بن غلند الوراق، أخبرنا المعافى زكريا الجريري، بالنهروان، قال: أنشدنا نصر بن أحمد الخبزأرزي لنفسه:

بأبي أنت من ملول ألوف رُضِنَتْنِي بِالْأَمَانِ وَالتَّخْوِيفِ
حَارَ عَقْلِي فِي حُكْمِكَ الْجَائِرِ الْعَدِ لِي فِي خَلْقِكَ الْجَلِيلِ اللَّطِيفِ
أنت بالخَصْرِ والمؤزر تحكي قُوَّةَ الشُّوقِ بِالْفَوَادِ الضَّعِيفِ
لَيْسَ عَنْ خَيْرَةٍ وَصَفْتُكَ لَكِنْ حَرَكَاتِ دَلَّتْ عَلَى الْمَوْصُوفِ
لَكَ وَجْهٌ كَأَنَّهُ الْبَذْرُ فِي التُّرْبِ مِمَّ عَلَيْهِ تُطْرَقُ مِنْ كَسُوفِ

وأحمد بن منصور بن محمد بن حاتم أبو بكر الوراق المعروف بالثوشرى، وكان ثقة، وكان أول سماعه عن ابن صاعد في سنة ثمانين وثلث مئة ومات في يوم الجمعة الثاني عشر من محرم سنة ثمان وثمانين وثلث مئة روى الخطيب البغدادي قال: أخبرنا أبو القاسم الأزهرى، وعلي بن أبي علي البصري، قالا: أنشدنا أحمد بن منصور الوراق، قال: أنشدنا نصر الخبزأرزي لنفسه:

لسانُ الفتى خنق الفتى حين يجهلُ وَكُلُّ أَمْرٍ مَا بَيْنَ فَكْنِهِ مَقْتُلُ
إِذَا مَا لِسَانُ الْمَرْءِ أَكْثَرُ هَذَرُهُ فَذَاكَ لِسَانُ بِالْبَلَاءِ مُوَكَّلُ
وَكَمْ فَاتِحَ أَبْوَابِ شَرٍّ لِنَفْسِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ قُفْلٌ عَلَى فِيهِ مَقْفَلُ
كَذَا مَنْ رَمَى يَوْمًا شَرَارَاتِ لَفْظِهِ

تَلَقَّيْتُهُ نِيرَانُ الْجَوَابَاتِ تُشْعِلُ⁽³⁾

(1) اللباب 1/ 275.

(2) 13/ 296 وما بعدها.

(3) 13/ 297 وما بعدها.

ومنهم: محمد بن أحمد أبو الحسن الأخباري، سكن الشام، وحدث بطرابلس عن مجموعة من العلماء، وروى عنه مجموعة من العلماء والرواة، روى الخطيب البغدادي قال: أنشدنا التنوخي، قال: أنشدنا أحمد بن محمد بن العباس الأخباري، قال: أنشدنا نصر بن أحمد الخباز البصري لنفسه:

لَمَّا جَفَّانِي مَنْ كَانَ لِي أُنْسًا أُنْسْتُ شَوْقًا بِبَعْضِ أُنْسِيَاةٍ
كَمَثَلِ يَعْقُوبَ بَعْدَ يُوسُفَ إِذْ حَنَّ —

————— نَ إِلَى شَمِّ بَعْضِ أَثْوَابِهِ
دَخَلْتُ بَابَ الْهَوَى وَلِي بَصَرٌ

وَفِي خُرُوجِي عَمِيتُ عَنْ بَابِهِ⁽¹⁾

ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد الأكفاني البصري، روى الخطيب البغدادي قال: حدثنا أبو منصور محمد بن محمد بن أحمد بن الحسين بن عبد العزيز العكبري - لفظاً - قال: أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد المالكي النضري - بعكبرا - أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد الأكفاني البصري، قال: خرجت مع عمي أبي عبد الله الأكفاني الشاعر وأبي الحسين ابن لنكك، وأبي عبد الله المفجع، وأبي الحسن السياك في بطالة عيد، وأنا يومئذ صبي أصحابهم، فمشوا حتى انتهوا إلى نصر بن أحمد الخبزارزي، وهو جالس يجيز على طابقه، فجلست الجماعة عنده يهنون بالعيد، ويتعرفون خبره، وهو يوقد الشعلة تحت الطابق، فزاد في الوقود، فدخنهم، فنهضت الجماعة عند تزايد الدخان فقال نصر بن أحمد لأبي الحسين بن لنكك: متى أراك يا أبا الحسين؟ فقال له أبو الحسين: إذا اتسخت ثيابي، وكانت ثيابه يومئذ جدداً من أنقى ما يكون من البياض للتجمل بها في العيد، فمشينا في سكة بني سمرة حتى انتهينا إلى دار أحمد بن المثنى، فجلس أبو الحسين بن لنكك، وقال يا أصحابنا، إنَّ نُصْرًا لَا يُخْلِي هَذَا الْمَجْلِسَ الَّذِي مَضَى لَنَا مَعَهُ مِنْ شَيْءٍ يَقُولُ فِيهِ، وَلَحَبُّ أَنْ نَبْدَأَهُ قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ بِنَا، وَاسْتَدْعَى دَوَاةً وَكُتِبَ:

لنصر في فؤادي فرط حُبْ
أئيناه فبحرنا بخوراً
فَقُمْتُ مُبَادِراً وَظَنَنْتُ نَصِراً
فَقَالَ: مَتَى أَرَاكَ أبا حُسَيْنٍ؟
أَيْفُ بِهِ عَلَى كُلِّ الصَّحَابِ
مِنْ السَّعْفِ الْمَدْحَنِ لِلثَّيَابِ
أَرَادَ بِذَاكَ طَرْدِي أَوْ ذَهَابِي
فَقُلْتُ لَهُ: إِذَا ائْتَسَخْتُ ثِيَابِي

فأنفذ الأبيات إلى نصر، فأملى جوابها، فقرأناها، فإذا هو قد أجاب:

مَنَحْتُ أبا الحُسَيْنِ صَمِيمَ وَدِّي
أَتَى وَثِيَابُهُ كَقَتِيرِ شَيْبِ
ظَنَنْتُ جُلُوسَهُ عِنْدِي كَعُرْسِ
فَقُلْتُ: مَتَى أَرَاكَ أبا حُسَيْنٍ؟
فَدَاعَبَنِي بِالْفَاطِ عِدَابِ
فَعَدَنْ لَهُ كَرِيمَانَ الشُّبَابِ
فَجِئْتُ لَهُ بِثَمَسِيكِ الثَّيَابِ
فَجَاوَبَنِي: إِذَا ائْتَسَخْتُ ثِيَابِي
فَلِمَ يُكْنَى الْوَصِيُّ أبا ثَرَابٍ⁽¹⁾
فَإِنْ كَانَ التَّعَزُّزُ فِيهِ فَخَرٌ

ومنهم أحمد بن محمد بن عمران، جاء في تاريخ بغداد: وأخبرنا ابن غلدة أخبرنا أحمد

ابن محمد بن عمران، قال: أنشدنا نصر بن أحمد الخيزارزي:

كَمْ شَهْوَةٌ مُسْتَقَرَّةٌ فَرَحًا
وَكَمْ جَهْلٌ لِرَأْيِ مُشْتَرِيٍّ
قَدْ انْجَلَّتْ عَنْ حُلُولِ آفَاتِ
سُرُورٍ وَقَتِ بَعْمٍ أَوْقَاتِ
كَمْ شَهَوَاتٍ سَلَبْنَ صَاحِبَهَا
ثُوبَ الدِّيَانَةِ وَالْمَرْوَةِ

ومنهم عبد السميع بن محمد الهاشمي، روى صاحب يتيمة الدهر قال: وأنشدني أبو

القاسم الحسين بن محمد بن حبيب المذكور، قال: أنشدني عبد السميع بن محمد الهاشمي،

قال: أنشدني نصر بن أحمد الخيزارزي لنفسه:

شَاقِي الْأَهْلُ لَمْ تَشْقِي الدِّيَارَ
جِيرَةٌ فَرَفْتَهُمْ غَرِيبَةُ الْبَيْنِ
وَالْهَوَى صَائِرٌ إِلَى حَيْثُ صَارُوا
كَمْ أَنْاسٍ رَعَوْا لَنَا حِينَ غَابُوا
وَبَيْنَ الْقُلُوبِ ذَاكَ الْجَوَارِ
عَرَضُوا ثُمَّ أَغْرَضُوا، وَاسْتَمَالُوا
وَأَنْاسٌ جَفَّوْا وَهُمْ خَضَارُ
ثُمَّ مَالُوا، وَأَنْصَفُوا ثُمَّ جَارُوا

لا تَلْمُهُمْ عَلَى التَّجْنِي فَلَوْ لَمْ يَتَجَنَّوْا لَمْ يَحْسَنِ الْعَتَذَارُ⁽¹⁾
ومن رواية أشعاره أيضاً، أبو حفص عمر بن علي الفقيه الذي أنشد الثعالبي صاحب
اليتيمة عنه هذين البيتين:

وَرَدُّ الْخُدُودِ وَرُمَانُ الْتُهُودِ وَأَغْمَصَانُ الْقُدُودِ تُصِيدُ السَّادَةَ الصَّيْدَا
شَرَطِي إِذَا مَا رَأَيْتُ الْخَصْرَ مَخْتَصِراً

والرَّدْف مُرْتَدِفاً وَالْقَدَّ مَقْدُوداً⁽²⁾

ومنهم كذلك، أبو الحسن بن الجندي، وقد ذكره الخطيب البغدادي في تاريخ
بغداد⁽³⁾، في ترجمة الخبزأرزي.

(1) الثعالبي 134/2.

(2) 134/2.

(3) 296/13.

اختلاط شعر الخبزارزي

واضطراب روايته

ونظرة فاحصة إلى ديوان الخبزارزي وإلى الشعر الذي روته المصادر نلاحظ اختلاط هذا الشعر واضطراب روايته، ولعلّ أبرز مظاهر هذا الاختلاط ما يلي:

المظهر الأول: اختلاف رسم الألفاظ ونظامها، ويرجع هذا في الغالب، إلى التصحيف والتحريف، ومن نماذجه قول الخبزارزي:

لَهُ مُقَلَّةٌ مُدَّ غَيْتَ لَمْ تَطْعَمَ الْكُرَى

وَقَلْبٌ عَلَى حَمَزِ الْغُضَا يَتَّقَلُّبٌ⁽¹⁾

والصواب: جَمَر.

وقوله:

لَا تُلْمَنِي إِنْ ضَاقَ عَفْوُكَ عَنِّي

فِي لَهْوٍ أَنْ يَضِيقَ بِالشَّوْقِ صَدْرِي⁽²⁾

والصواب: فالهوى.

وقوله:

فَمَنْ عَيْنِكَ الْكَحْلَا كَانَتْ بِلَيْتِي

فِيوَيْلَاهُ مِنْ عَنَجٍ بِهَا وَفُتُورٍ⁽³⁾

والصواب: الكحلاء فويلاه

وقوله:

يَا مَبْدِعاً قَتَلَ النُّفُوسَ جَهَاراً

أَشْعَلْتَ بَيْنَ خَشَا الْجَوَانِحِ نَاراً⁽⁴⁾

والصواب: مبدعاً.

ومن ذلك قوله:

(1) ديوانه ص 24.

(2) نفسه ص 145.

(3) نفسه ص 173.

(4) نفسه ص 125.

كأثمنا الحسن في خذّه ماء الندى بمزجٍ بالخمر⁽¹⁾
والصواب: كأن ماء.

وقوله:

كذلك الرعا تسيء الظنون إذا ما الذئاب خلّت بالغنم⁽²⁾
والصواب: الرعاة.

وقوله:

فلم تحسبن الفضل في الحلم وحده بل الجهل في بعض الأحياء أفضل⁽³⁾
والصواب: فلا

وقوله:

أربت مودتكم على الأيام فترى الأخاء لفترة الإسلام⁽⁴⁾
والصواب: فتر الإخاء.

والأمثلة على هذا المظهر أكثر من أضن تحصى أو تُعدّ، ولا داعي للإكثار منها، فهي ظاهرة شائعة في كتبنا العربية المطبوعة منها والمخطوطة سواء بسواء.

المظهر الثاني: الاختلاط في رواية ألفاظ شعر الخبزأرزي، والأمثلة على هذا المظهر كثيرة، وأنا أسوق بعضها للتدليل على ما أقول، فقد جاء في يتيمة الدهر⁽⁵⁾: "وكان ابن لنكك - على ارتفاع مقداره - يتتاب دكانه ويسمع شعره. فحضره يوماً وعليه ثياب بيض فاخرة، فتأذى بالدخان وساء أثره على ثيابه، فانصرف وكتب إليه:

لنصر في فؤادي فرط حُب
ينيف به على كل الصحاب
أتينا فبحرنا بخوراً
من السعف المدخن بالتهاب

(1) ديوانه ص 151.

(2) نفسه ص 312.

(3) نفسه ص 462 وانظر تاريخ بغداد 13 / 297.

(4) نفسه ص 327.

(5) 132 / 2.

فَقَمْتُ مُبَادِرًا وَحَسَبْتُ نَصْرًا يريد بذلك طردي أو ذهابي
فَقَالَ: مَتَى أَرَاكَ أَبَا حُسَيْنٍ فَقُلْتُ لَهُ: إِذَا ائْتَسَخَتْ ثِيَابِي
فَلَمَّا قُرِئَتْ عَلَيْهِ الرِّقْعَةُ الَّتِي فِيهَا هَذِهِ الْآيَاتُ، أَمَلَى عَلَى مَنْ كَتَبَ لَهُ فِي ظَهْرِهَا هَذِهِ

الآيات:

مَنْحَتُ أَبَا الْحُسَيْنِ صَمِيمَ وَدِّي فَدَاعَبَنِي بِالْفَاطِ عِزَابِ
أَتَى وَثْيَابُهُ كَالشَّيْبِ لَوْنًا فَعُدْنَ لَهُ كَرِيْعَانِ الشَّيْبِ
وَيُغْضِ لِلْمَشْيِبِ أَعْدُ عِنْدِي سَوَادًا لَوْنُهُ لَوْنُ الْخِضَابِ
فَلِنْ يَكُنِ التَّقَرُّزُ فِيهِ فَخْرًا فَلَمْ يَكُنِيَ الْوَصِيُّ أَبَا تَرَابِ
وَقَدْ جَاءَتْ آيَاتُ الْخُبْرَازِيِّ فِي تَارِيخِ بَغْدَادٍ⁽¹⁾ عَلَى الصُّورَةِ الْآتِيَةِ:

مَنْحَتُ أَبَا الْحُسَيْنِ صَمِيمَ وَدِّي فَدَاعَبَنِي بِالْفَاطِ عِزَابِ
أَتَى وَثْيَابُهُ كَقَتِيرِ شَيْبِ فَعُدْنَ لَهُ كَرِيْعَانِ الشَّيْبِ
ظَنَنْتُ جُلُوسَهُ عِنْدِي كَعُرْسِ فَجِئْتُ لَهُ بِتَمْسِيكِ الثِّيَابِ
فَقُلْتُ: مَتَى أَرَاكَ أَبَا حُسَيْنٍ؟ فَجَاوَبَنِي إِذَا ائْتَسَخَتْ ثِيَابِي
فَلِنْ كَانَ التَّعَرُّزُ فِيهِ فَخْرًا فَلَمْ يَكُنِيَ الْوَصِيُّ أَبَا تَرَابِ

وَرَوَاهَا يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ⁽²⁾ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ:

مَنْحَتُ أَبَا الْحُسَيْنِ صَمِيمَ وَدِّي فَدَاعَبَنِي بِالْفَاطِ عِزَابِ
أَتَى وَثْيَابُهُ كَالشَّيْبِ بِيضًا فَعُدْنَ لَهُ كَرِيْعَانِ الشَّيْبِ
وَيُغْضِي لِلْمَشْيِبِ أَعْدُ عِنْدِي سَوَادًا لَوْنُهُ لَوْنُ الْخِضَابِ
ظَنَنْتُ جُلُوسَهُ عِنْدِي لِعُرْسِ فَجِئْتُ لَهُ بِتَمْسِيكِ الثِّيَابِ
وَقُلْتُ: مَتَى أَرَاكَ أَبَا حُسَيْنٍ؟ فَجَاوَبَنِي إِذَا ائْتَسَخَتْ ثِيَابِي
وَلَوْ كَانَ التَّقَرُّزُ فِيهِ خَيْرًا لَمَّا كُنِيَ الْوَصِيُّ أَبَا تَرَابِ

(1) 298/13

(2) معجم الأدباء 218/19.

ولجد هاتين الروایتين مختلفان عن رواية صاحب بدائع البدائة⁽¹⁾ الذي أوردها على الصورة الآتية:

مَنَحْتُ أَبَا الْحَسَنِ صَمِيمَ وَدِّي فَدَاعِبَنِي بِالْفَاطِ عِزَابِ
ظَنَنْتُ جُلُوسَهُ عِنْدِي كَعُورَسٍ فَجِئْتُ لَهُ بِتَمْسِيكِ الثَّيَابِ
وَقُلْتُ: مَتَى أَرَاكَ أَبَا حُسَيْنٍ؟ فَجَاوَبَنِي إِذَا أُلْسَخْتُ ثِيَابِي
فَإِنْ كَانَ التَّقَدُّرُ فِيهِ فَخَرٌ فَلِمَ يُكْنَى الْوَصِيُّ أَبَا ثَرَابِ

وتختلف هذه الروايات في قليل أو كثير عن رواية الديوان⁽²⁾ ووفيات الأعيان⁽³⁾ وشرح مقامات الحريري⁽⁴⁾ واللباب في تهذيب الأنساب⁽⁵⁾ وغيرها، ومثل آخر على هذا المظهر من مظاهر اختلاط شعر الخبزارزي، قوله في الغيرة:

إِنِّي لِأَحْسَدُ مُقْلَتِي عَلَيْكَ حَتَّى أَغْضُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ
مَا زَالَ يَنْظُرُ فِي شِمَائِلِكَ الَّتِي هِيَ فَتَنِي فَأَغَارُ مِنْكَ عَلَيْكَ
مِنْ لَطْفٍ إِشْفَاقِي وَدَقَّةِ عِبْرَتِي أَنِّي أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْ عَيْتِكَ
وَلَوْ اسْتَطَعْتُ جَرَحْتُ لَفْظَكَ غَيْرَتِي إِنِّي أَرَاهُ مُقْبِلًا شَفِيفَتِكَ
خَلَصَ الْهَوَى لَكَ وَاصْطَفَيْتَكَ مَوَدَّتِي حَتَّى حَذَرْتُ عَلَيْكَ مِنْ أَبْوَيْكَ
وهي رواية الديوان⁽⁶⁾.

وقد جاءت الأبيات في 'حماسة الظرفاء'⁽⁷⁾ على الصورة الآتية:

إِنِّي لِأَحْسَدُ نَاطِرِي عَلَيْكَ حَتَّى أَغْضُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ
وَأَرَاكَ تُخْطِرُ فِي شِمَائِلِكَ الَّتِي هِيَ حَسْرَتِي فَأَغَارُ مِنْكَ عَلَيْكَ

(1) علي بن ظافر الأزدي ص 350.

(2) ص 18.

(3) ابن خلكان 376/5.

(4) 221/4.

(5) 419/11.

(6) ص 267.

(7) 140/2.

ولو استطعت جرحت لفظك عامداً
 خلص الهوى لك واصطففتك مودتي
 من فرط إشفافي ورقّة عبرتي
 ولو استطعت حجت لفظك غيره
 إني أراه مقبلاً شفتيك
 وغدوت من حبيك طوعاً يديك
 إني أغار عليك من ملكيك
 إني أراه مقبلاً شفتيك

ولو استطعت حجت لفظك غيره
 إني أراه مقبلاً شفتيك
 وقد جاء البيتان الخامس والثالث في الوساطة بين المتنبي وخصومه⁽¹⁾ على هذه الصورة:

من لطفاً إشفافي ودقة عبرتي
 ولو استطعت جرحت لفظك غيره
 إني أغار عليك من عينيكا
 إني أراه مقبلاً شفتيك
 وجاء في الإبانة عن سرقات المتنبي⁽²⁾ كما يلي:

من فرط إشفافي ورقّة عبرتي
 ولو استطعت حجت لفظك غيره
 إني أغار عليك من ملكيك
 إني أراه مقبلاً شفتيك
 ومثل ذلك أيضاً هذه الأبيات وهي من ضمن قصيدة وردت في الديوان⁽³⁾:

أحبّ فمن ذا الذي أخلفه
 فلا أحد في الرضى ساءه
 ومَلّ فمن ذا الذي استعطفه
 ولا أحد في القلى عتفه
 وكان ذكياً كما قد علمت
 فماذا التعدي وماذا السفه

(1) ص 308.

(2) ص 39.

(3) ص 239.

وقد وردت هذه الأبيات في محاضرات الأدباء⁽¹⁾ ضمن مقطوعة من تسعة أبيات على الصورة الآتية:

أَحَبُّ فَمَنْ ذَا الَّذِي كَلَّفَـهُ وَمِثْلُ مَنْ ذَا الَّذِي اسْتَعْطَفَـهُ
فَلَا أَحَدٌ فِي الرِّضَى سَرَّـهُ وَلَا أَحَدٌ فِي الْقَلَى عَنَّفَـهُ
وَكُنَّا وَكَانَ كَمَا قَدْ عَلِمْتَ فَمَاذَا التَّعْدِي وَمَاذَا السُّفْهُ

ومثل أخير على ذلك: هذا البيت الذي ورد في حماسة الظرفاء⁽²⁾ على هذه الصورة:
وَلَوْ جَمَلُ السَّقَايَةِ لَقُبَّوْهُ بِمَعْشُوقٍ لَحْدَفَ بِأَذْرُوجِي
وقد ورد البيت في ثمار القلوب⁽³⁾ على هذه الصورة:

وَلَوْ جَمَلُ السَّقَايَةِ لَقُبَّوْهُ بِمَعْشُوقٍ تَحْرَى أَخَذَ رُوحِي

المظهر الثالث: وهو اختلاط المصادر في نسبة بعض الأبيات إلى الخبزارزي مرة، وفي نسبتها إلى غيره مرة أخرى، ومن هذا الضرب الأبيات الكافية التي مرّت في المظهر الثاني ومطلعها:

إِنِّي لِأَحْسَدُ مَقْلَتِي عَلَيْكَ حَتَّى أَغْضُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ
وقد نسبت هذه الأبيات إلى بكر الشبلي⁽⁴⁾ في ديوانه، وإلى البحري⁽⁵⁾، ونسب الأول إلى الخبزارزي في محاضرات الأدباء⁽⁶⁾، والبيتان الثالث والخامس له في الوساطة بين المتنبي وخصومه⁽⁷⁾، والإبانة عن سرقات المتنبي والتبيان في شرح الديوان للعكبري⁽⁸⁾، مع

(1) 713/4.

(2) 97/2.

(3) ص 355.

(4) ص 115.

(5) 2625/4.

(6) 235/3.

(7) ص 308.

(8) ص 39.

اختلاف في بعض الألفاظ وهذا يعود بنا إلى المظهر الثاني من مظاهر اختلاط شعر
الخبزارزي واضطراب روايته.⁽¹⁾

ومن ذلك أيضاً هذان البيتان:

قد كان لي فيما مضى خاتم فالיום لو شئت تمنطقت به
وذبت حتى صيرت لوزج بي في مقلّة النائم لم يتبّه
وقد نسبا في ديوان المعاني⁽²⁾ للخبزارزي، ونسبا إليه كذلك في: "حماسة الظرفاء"⁽³⁾
ومحاضرات الأدباء⁽⁴⁾ والكشكول⁽⁵⁾ والعمدة⁽⁶⁾ ونهاية الأرب⁽⁷⁾. ونسبهما صاحب "سمط
اللائق"⁽⁸⁾ وصاحب "معاهد التنصيص"⁽⁹⁾ إلى يعقوب بن زيد التمار، وجاء في شرح مقامات
الحريري⁽¹⁰⁾ بلا عزو، وورد البيت الثاني في "طيف الخيال"⁽¹¹⁾، بلا عزو أيضاً.

وقد جاء في نهاية الأرب⁽¹²⁾ على هذه الصورة:

أحلني الحب فلو زج بي في مقلّة النائم لم يتبّه
وكان لي فيما مضى خاتم واليوم لو شئت تمنطقت به
وهذا يعود بنا إلى المظهر الثاني أيضاً.

ومثال آخر، هذان البيتان اللذان وردا في ديوان الخبزارزي:

(1) 193/4.

(2) 272/1.

(3) 88/2.

(4) 91/2.

(5) 314/2.

(6) 51/2.

(7) 260/2.

(8) ص 181.

(9) 29/3.

(10) 148/1.

(11) ص 101.

(12) 260/2.

عَبْدُكَ أَمْرَضَتْهُ فَعُدَّةٌ أَمِثُهُ إِنْ لَسِمَ تُكُنْ ثُرْدَةٌ
 قَدْ ذَابَ لَوْ فَتَشْتِ عَلَيْهِ كَفُّكَ فِي الْفَرَشِ لَمْ تَجِدُهُ
 وقد نسبهما صاحب المعاهد التنصيص⁽¹⁾ مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ إلى
 شاعر آخر يسمى المظفر بن كيغلغ.

ومن ذلك أيضاً هذان البيتان:

وَبِنَفْسِي مَنْ إِذَا خَمَّشَتْهُ نَشَرَ السُّورْدُ عَلَيْهِ وَرَقَّةٌ
 وَإِذَا مَسَّتْ يَدِي طَرْقَةٌ أَفَلَكْتُ مِنْهُ فَعَادَتْ حَلْقُهُ
 وقد وردا في شرح مقامات الحريري منسوبين إلى الخبزارزي⁽²⁾، ووردا في كتاب
 المحبوب للسري الرفاء ومعهما بيت ثالث منسوبة إلى أبي مسلم الرستمي⁽³⁾، ووردا في
 البصائر والذخائر⁽⁴⁾ منسوبين إليه كذلك، وأوردهما صاحب يتيمة الدهر منسوبين إلى
 الشاعر أبي عاصم البصري⁽⁵⁾.

ومن ذلك هذه المقطوعة التي وردت في ديوان الخبزارزي⁽⁶⁾:

وَذِي كَلَالٍ كَأَنَّهُ بَسْتَا نَحْسُهُ عِنْدَ الدَّهْرِ مَنَقُوشُ
 وَرَوْضَةُ الْيَاسَمِينِ عَارِضُهُ
 وَهُوَ بِلُحْظِ الرَّقِيبِ غَدُوشُ
 وَالسَّدَرِ فِي ثَغَرِهِ مَنَابِثُهُ
 وَالسُّورْدُ فِي وَجْهِهِ مَفْرُوشُ
 وَقَدْ زَهَمَا فِي جَيْبِنِهِ أَبْدَا عَنُقُودُ صَدْعٍ عَلَيْهِ مَعْرُوشُ

(1) 29 / 3.

(2) 430 / 1.

(3) ص 378.

(4) 180 / 4.

(5) 368 / 2.

(6) ص 197.

وقد وردت في كتاب المحبوب منسوبة إلى السروي⁽¹⁾ مع اختلاف كبير في الألفاظ وهذا يعود بنا إلى المظهر الثاني من مظاهر اختلاط شعر الخبزأرزي.

ومن ذلك أيضاً هذان البيتان، وقد وردا في نهاية الأرب⁽²⁾ منسوبين إلى الخبزأرزي:

صِلْ بِخَدِّي خَدَّيْكَ تُلْقَ عَجِيْباً مِنْ مَعَانٍ يَحَارُ فِيهَا الضَّمِيرُ
فَبِخَدَّيْكَ لِلرَّيِّعِ رِيَاضٌ وَبِخَدَّيْ لِلدَّمْعِ غَدِيرُ

وقد وردا في كتاب المحبوب للسري الرفاء منسوبين إلى الحسين بن الضحاك⁽³⁾، ونسبا - كذلك - إليه في: وفيات الأعيان⁽⁴⁾ وشذرات الذهب⁽⁵⁾، ونسبا إلى عبد الله بن المعتز في كتاب المستطرف⁽⁶⁾.

ومن ذلك أيضاً هذه الأبيات التي وردت في كتاب المحبوب⁽⁷⁾ منسوبة إلى الخبزأرزي، بينما نسبها ابن الأثير في كتابه المثل السائر، إلى ديك الجن⁽⁸⁾:

لَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِ مِنْ حَدَقِ الْمَهَا
وَضَحَكَتِ عَنْ مَتَفَتِّحِ الْأَنْوَارِ
وَعَقَدْتُ بَيْنَ قَضِيبِ بَانٍ نَاعِمٍ
وَكُثِيبِ رَمَلٍ عُقْدَةُ الزُّنَارِ
عَفَرْتُ خَدِّي فِي الشَّرَى لَكَ خَاضِعاً
وَعَزَمْتُ مِنْكَ عَلَى دُخُولِ النَّارِ

ومن ذلك أيضاً هذان البيتان، وقد وردا في ديوان الخبزأرزي مرتين:

إِعْلَمْ بِأَنْ مَسْرَتِي لَوْ كَانَ فِيهَا مَا يَضُرُّكَ

(1) ص 381.

(2) 76 / 2.

(3) ص 424.

(4) 164 / 2.

(5) 124 / 3.

(6) 23 / 2. وهما له في مجموع شعره 275 / 3.

(7) ص 454.

(8) 106 / 2. وانظر ديوان ديك الجن ص 79، 80.

لتركبتُ ذلك واتبعك — ستُ مضرتي فيما يسرك⁽¹⁾

وقد وردا منسويين إلى البحري في ملحق ديوانه⁽²⁾، وذلك ضمن أربعة أبيات ومثل
آخر على هذا المظهر من مظاهر اختلاط شعر الخبز أرزي واضطراب روايته هذه المقطعة،
وقد وردت في ديوانه:

جَرْدَةُ الحَمَامِ عَنْ فِضَّةٍ يِضَاءَ فِيهَا عُكْنَةُ بَضَّةٍ
كَأَنَّمَا المَاءُ بِأَعْطَافِهِ طَلٌّ عَلَى سَوَسَنَةٍ غَضَّةٍ
قَدْ جَمَعَ الْأَنْوَارَ فِي خَدِّهِ كَأَنَّهُ مِنْ حُسْنِهِ رَوْضِهِ
يَا لَيْتَ لِي مِنْ فَمِهِ قُبْلَةٌ وَلَيْتَ لِي مِنْ خَدِّهِ عَضَّةٍ⁽³⁾

وقد ورد ثلاثة أبيات من هذه المقطعة في شرح مقامات الحريري⁽⁴⁾ منسوبة إلى
الحسين الضحاك، وهي على هذه الصورة:

جَرْدَةُ الحَمَامِ عَنْ دُرَّةٍ تَلُوحُ فِيهَا عُكْنَةُ بَضَّةٍ
كَأَنَّمَا الرُّشْحُ عَلَى خَدِّهِ طَلٌّ عَلَى تَفَاحَةٍ غَضَّةٍ
يَا لَيْتَهُ زَوَدَنِي قُبْلَةً أَوْ لَا فَمِنْ وَجْتِهِ عَضَّةٍ
ومن ذلك هذا البيت الذي نسبته إليه صاحب المصنف⁽⁵⁾:

فَضِيفُهُ فِي رِيْعٍ طَوَّلَ مُدَّتِهِ وَجَارُهُ كُلَّ حِينٍ مِنْهُ فِي رَجَبٍ
إذ نجد هذا البيت في ديوان ابن الرومي⁽⁶⁾ وهو السبعون من قصيدة طويلة أولها:
إِنْ أَنَسَ لَا أَنَسَ هَذَا آخِرَ الْحَقْبِ عَلَى اخْتِلَافِ صُرُوفِ الدَّهْرِ وَالْحَقْبِ
ومن ذلك هذان البيتان:

وَحْيَةٍ فِي رَأْسِهَا دُرَّةٌ تَسْبِيحٌ فِي بَحْرِ قَصِيرِ الْمَدَى

(1) ص 258.

(2) ج 2 ص 388 ط بيروت.

(3) ص 337.

(4) 234 / 4.

(5) 360 / 1.

(6) 194 / 1.

إن بعدت كان العمى حاضراً وإن دنت بان سبيل الهدى
 وهما له في الحب والمحبوب⁽¹⁾، ولابن الرومي في ديوانه⁽²⁾ وللشري الرفاء في
 ديوانه⁽³⁾ وبلا عزو في البصائر والذخائر⁽⁴⁾ وانوار الربيع⁽⁵⁾.

ومن ذلك هذان البيتان:

أظهر الكبرياء من فرط زهو فتلقئته بذل الخضوع
 وحباني ربيع خدي به بالسود د فأمطرئته سحب السدموع
 وهما له في نهاية الأرب⁽⁶⁾ وللحسين بن الضحاك في ديوانه 425، ولأبي حمزة
 الذهلي في تنمة اليتيمة⁽⁷⁾.

ومن ذلك مقطوعته التي أولها:

ومن طاعتي إياه يُنظر ناظري إذا هو أبدى من ثناياه لي برقاً
 وهي له في سمط اللالي⁽⁸⁾ وفي الإبانة عن سرقات المتنبي⁽⁹⁾ والأول له في
 المنصف⁽¹⁰⁾ والبيتان الأول والثاني لحظرة البرمكي في ديوانه⁽¹¹⁾، ودون عزو في
 الذخيرة⁽¹²⁾.

ومثل قوله:

وحسن ينمنم ذاك العذار كآثار مسك عليه غزل

-
- | | |
|---------|------|
| 240 / 1 | (1) |
| 132 / 1 | (2) |
| 142 / 2 | (3) |
| 250 / 4 | (4) |
| 47 / 6 | (5) |
| 76 / 2 | (6) |
| 84 / 1 | (7) |
| 178 / 1 | (8) |
| ص 47 | (9) |
| ص 121 | (10) |
| ص 131 | (11) |
| 324 / 1 | (12) |

كتاب من الحسن توقيعيه من الله في خده قد نزل
وهما له في المحبوب⁽¹⁾ والثاني مع بيتين آخرين في البصائر والذخائر لمحمد بن
يعقوب⁽²⁾.

وإلى جانب هذه المظاهر الثلاثة من مظاهر اختلاط شعر الخبزأرزي واضطراب
روايته نجد مظهراً رابعاً، وهو: اختلاف ترتيب الآيات في المقطوعة أو القصيدة الواحدة؛ فقد
أورد صاحب "حماسة الظرفاء"⁽³⁾ هذه المقطوعة للخبزأرزي:

- 1- كُلُّ الْهَوَى صَغْبٌ وَلَكِنِّي بُلَيْتُ بِالْأَصْغَبِ مِنْ أَصْغَبَةٍ
- 2- أَذَابَنِي الْحُبُّ فَلَوْ زُجُّ بِي فِي نَاطِرِ النَّائِمِ لَمْ يَتَّيَسَّرْ
- 3- فَكَانَ لِي قَبْلَ الْهَوَى خَائِمٌ فَالآنَ لَوْ شِئْتُ تَمْنَطُتُ بِهِ
- 4- وَزَارَنِي طَيْفُكَ حَتَّى إِذَا أَرَادَ أَنْ يَمْضِيَ تَعَلَّقْتُ بِهِ
- 5- يَا مَنْ إِذَا أَقْبَلَ قَالَ الْوَرَى هَذَا أَمِيرُ الْحُسْنِ فِي مَوَكِبِهِ
- 6- عَبْدُكَ لَا تُسْأَلُ عَنْ حَالِهِ حَلُّ بِأَعْدَائِكَ مَا حَلُّ بِهِ

وجاءت المقطوعة في المنصف في نقد الشعر⁽⁴⁾ كما يلي:

- 1- كُلُّ الْهَوَى صَغْبٌ وَلَكِنِّي بُلَيْتُ بِالْأَصْغَبِ مِنْ أَصْغَبَةٍ
- 3- قَدْ كَانَ لِي قَبْلَ الْهَوَى خَائِمٌ فَالآنَ لَوْ شِئْتُ تَمْنَطُتُ بِهِ
- 2- وَذُبْتُ حَتَّى صِرْتُ لَوْ زُجُّ بِي فِي نَاطِرِ الْوَسْنَانِ لَمْ يَتَّيَسَّرْ
- 5- يَا مَنْ إِذَا أَقْبَلَ قَالَ الْوَرَى هَذَا أَمِيرُ الْحُسْنِ فِي مَوَكِبِهِ

وقد أورد بهاء الدين العاملي هذه الآيات في الكشكول⁽⁵⁾ بترتيب آخر وهو:

- 2- يَا مَنْ إِذَا أَقْبَلَ قَالَ الْهَوَى هَذَا أَمِيرُ الْحُسْنِ فِي مَوَكِبِهِ

(1) ص 397

(2) 156 / 1

(3) 88 / 2

(4) ص 516

(5) 314 / 2

- 1- كُلُّ الْهُوَى صَغْبٌ وَلَكِنِّي بُلَيْتُ بِالْأَصْغَبِ مِنْ أَصْغَبَةٍ
6- عَبْدُكَ لَا تُسْأَلُ عَنْ حَالِهِ حَلٌّ بِأَعْدَائِكَ مَا حَلٌّ بِهِ
3- قَدْ كَانَ لِي قَبْلَ الْهُوَى خَاتَمٌ وَالْيَوْمَ لَوْ شِئْتُ تَمْنَقْتُ بِهِ
2- فَنَيْتُ حَتَّى صِرْتُ لَوْزَجُ بِي فِي مَقْلَةِ الْوَسْنَانِ لَمْ يَتَّبِعْهُ

ونجد في هذه الروايات الثلاث خلافاً في بعض الألفاظ، وهذا يعود بنا إلى المظهر الثاني من مظاهر اختلاط شعر الخبزأرزي واضطراب روايته، وهو الاختلاط في رواية الألفاظ شعر الخبزأرزي.

ومثل أخير على هذا المظهر، هذه المقطعة البائية التي وردت في ديوان الخبزأرزي⁽¹⁾:

- 1- لَا أَسْتَطِيعُ مِنَ الضَّنَا شَكْوَى الضَّنَا وَيَكَاذُ مَا بِي أَنْ يَرِقُّ لِمَا بِي
2- لَا صَبْرَ لِي أُنَى عَلَيْكَ تَصْبِرِي وَالتَّيْبَةُ دَابُّكَ وَالتَّجْلُدُ دَابِّي
3- فَخَلَعْتُ فِي خِلْعِ الْعَذُولِ تَجْمَلِي وَلَبَسْتُ ثَوْبَ السُّقْمِ تَحْتَ ثِيَابِي
4- لَا تَمْزَجُوا كَأْسِي فَإِنَّ مَدَامِعِي تَكْفِي وَتَفْضُلُ عَنْ مَزَاجِ شَرَابِي

وقد وردت أبيات من هذه المقطعة في البديع في نقد الشعر⁽²⁾ على هذه الصورة:

- 2- لَا صَبْرَ عَنَّا، بَلَى عَلَيْكَ تَصْبِرِي وَالهَجْرُ دَابُّكَ وَالتَّجْلُدُ دَابِّي
4- لَا تَمْزِجِي قَدْ جِي فَإِنَّ مَدَامِعِي تَكْفِي وَتَفْضُلُ عَنْ مَزَاجِ شَرَابِي
1- لَا أَسْتَطِيعُ مِنَ الضَّنَا شَكْوَى الضَّنَا وَيَكَاذُ مَا بِي أَنْ يَرِقُّ لِمَا بِي

والاختلاف في الألفاظ بين الروايتين يعود بنا إلى المظهر الثاني.

المظهر الخامس: وهو تكرار بعض القصائد والمقطوعات مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ، مثل هذه المقطوعة:

- متهود صبغ الهوى لوني لهُ فأذاب جسمي في الهوى تذكارهُ
وكأنني من صفرة غسليته وكأنني من دقة زناره

(1) ص 36.

(2) ص 222.

ما قد جحدت هواه وأنكرته شهدت عليّ من الهوى آثارة⁽¹⁾
وقد تكرر ذكر هذه المقطوعة في صفحة أخرى من الديوان مع اختلاف طفيف في
بعض الأبيات، إذ وردت في المرة الثانية على هذه الصورة:

متنصراً صبح الهوى جسّمي لهُ فأذاب قلبي في الهوى تذكّاره
فكأنني من صفرة غسليّة وكأنني من دقّة زئساره
وإذا جحدت هواه أو أنكرته شهدت عليّ من الهوى آثارة⁽²⁾
ومثل ذلك قصيدته التي مطلعها:

حلّ المحاسن نزهة الأبصار والعيش تحت معاقب الزنار⁽³⁾
وعدد أبياتها ثلاثة عشر بيتاً، وقد وردت أولاً في ص 68، 69 من المخطوط، ثم
وردت مرة أخرى في ص 140 باثني عشر بيتاً ومطلعها:

روض المحاسن نزهة الأبصار والعيش تحت معاقب الزنار
مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

المظهر السادس: الخلط بين قصيدتين أو مقطوعتين من بحرین مختلفين وجعلهما قصيدة أو
مقطوعة واحدة، مثل المقطوعة الآتية:

وذي كلال كأنه بستان حَسَنٌ في الدهر منقوش
وروضة الياسمين عارضُة وهو بلحظ الرقيب غدوش
والدر في ثغره صبابته والورد في وجته مفروش
وقدرها في جبينه أبداً عنقود صدغ عليه معروش
وأحور صحبته في المسا وإنسي لمن دهبش مُرعش
فقال: أتَهزأ بي في السلام وكان لما قلت يستوجش

(1) ديوانه ص 123 وانظر ص 37 من المخطوط.

(2) نفسه، وانظر ص 63 من المخطوط.

(3) ديوانه ص 161.

فقلت: دهشت لما قد رأيت ومن ذا يراك ولا يدهش⁽¹⁾
هكذا وردت المقطوعة في الديوان، وهي في الحقيقة مقطعتان الأولى تنتهي في البيت
الرابع من المنسرح والثانية ثلاثة أبيات من المتقارب.
ومثل ذلك هذان البيتان وقد وردا معاً:
يقولون قد أخفى محاسنه الشعر

فهيئات هل يخفى على الظلمة البدرُ
كَمْ بَيْنَ أَرْضٍ قَفَّارٍ لَا بُتَ بِهَا

وأرضٍ أجرى عليها النبت والزهر⁽²⁾
وواضح أن هناك خلطاً بين البيتين، ولا بد أن كل واحد منهما ينتمي إلى قصيدة أو
مقطوعة تختلف عن الأخرى، لأنهما من بحرین مختلفين، فالبيت الأول من الطويل، والثاني
من البسيط.

المظهر السابع: وهو الخلط والاضطراب في كتابة الأبيات كأن يكتب البيتان كأنهما بيت
واحد، ومن ذلك هذا البيت، وهو من بحر المجتث، وقد ورد في مطلع مقطوعة مكونة من ستة
أبيات:

الدمعُ يشهدُ أنني قانع بسلامك حجبت عني حتى منعت طيب كلامك⁽³⁾
وواضح أن هذا البيت هو عبارة عن بيتين، ويجب أن يكتب بهذا الشكل:
الدمعُ يشهدُ أنني قانع بسلامك قانع بسلامك
حجبت عني حتى منعت طيب كلامك منعت طيب كلامك

(1) ديوانه ص 214، 215.

(2) ديوانه ص 98، 99.

(3) ديوانه 329.

ومثل ذلك أيضاً هذان البيتان، وقد وردا ضمن مقطوعة من مجزوء الرمل:

إِنْ مَنْ كُنْتُ لَهُ أَنْسَ ——— سَتَ سَقَاماً وَطَبِيباً

لَقَدْ نَالَ مِنَ الدَنِ ——— يَا وَفِي الدُّنْيَا نَصِيباً

وقد وردا في الديوان على هذه الصورة:

إِنْ مَنْ كُنْتُ لَهُ أَنْتَ سَقَاماً وَطَبِيباً

فلقد نال من الدنيا وفي الدنيا نصيباً⁽¹⁾

ومن ذلك هذه المقطوعة التي وردت في الديوان على الصورة الآتية:

أَمَّا تَنْظُرُ دَمْعَ الْعَيْنِ مَسْكُوباً عَلَى الْخَدِّ

إِذَا مَا سَهَدَ الْقَلْبُ فَإِنَّ الْقَلْبَ يَسْتَعْدِي

وَمَا يَشْكُو الَّذِي يَلْقَاهُ إِلَّا مَنْ وَرَا جَهْدِ

فِيَا لَيْتَكَ فِي قَلْبِي عَسَى تَنْظُرُ مَا عِنْدِي

سَأُرْعَاكَ عَلَى الْقُرْبِ وَأُرْعَاكَ عَلَى الْبَعْدِ

فَكُنْ لِي كَيْفَ مَا أَحْبَبْتَ مِنْ وَصْلٍ وَمِنْ صَدِّ

فَلَوَّمْتُ مِنَ الْوَجْدِ لَمَّا حَلْتُ عَنْ الْعَهْدِ

طَلَبْتُ الْوَصْلَ لِي وَحْدِي كَذَا أَحْرَمْتَهُ وَحْدِي

وواضح أنّ هذه المقطوعة من بحر الهزج ويجب أن تكتب على الصورة الآتية:⁽²⁾

مَنْ مَسْكُوباً عَلَى الْخَدِّ

أَمَّا تَنْظُرُ دَمْعَ الْعَيْنِ

فَإِنَّ الْقَلْبَ يَسْتَعْدِي

إِذَا مَا سَهَدَ الْقَلْبَ

إِلَّا مَنْ وَرَا جَهْدِ

وَمَا يَشْكُو الَّذِي يَلْقَا

عَسَى تَنْظُرُ مَا عِنْدِي

فِيَا لَيْتَكَ فِي قَلْبِي

وَأُرْعَاكَ عَلَى الْبَعْدِ

سَأُرْعَاكَ عَلَى الْقُرْبِ

(1) ديوانه ص 31.

(2) ديوانه ص 74.

فَكُنْ لِي كَيْفَمَا أَحْبَبْتُ كُنْ مِنْ وَصَلِي وَمِنْ صَدِّ
فَلَوْ مِتَّ مِنْ الْوَجْدِ لَمَّا حَلَّتْ عَنِ الْعَهْدِ
طَلَبْتُ الْوَصْلَ لِي وَحْدِي كَذَا أَحْرَمْتُهِ وَحْدِي
وَالْأَمْثَلُ عَلَى هَذَا الْمَظْهَرِ كَثِيرَةٌ فِي الدِّيْوَانِ، وَكَتَفِي بِمَا أوردت، وَقَدْ فَصَّلْتُ الْحَدِيثَ
عَنْ ذَلِكَ فِي مَقْدَمَةِ التَّحْقِيقِ.

الفصل الثاني

موضوعات شعره

- (1) المديح
- (2) الحكمة
- (3) الوصف
- (4) الغزل
- (5) العتاب والاعتذار
- (6) الهجاء
- (7) التهنية والهدايا
- (8) الرثاء
- (9) المجون

الفصل الثاني

موضوعات شعره

ذكر بعض الذين ترجموا للخبزارزي، أن شعره جميعه كان في الغزل.
قال الثعالبي: "... فكان يخبز وينشد أشعاره المقصورة على الغزل⁽¹⁾ وقال ابن
خلكان: "... وكان ينشد أشعاره المقصورة على الغزل⁽²⁾. ونحن لا نستطيع أن نأخذ هذا
القول على إطلاقه؛ فديوانه ضخم، وطرق فيه ألوان الشعر الغنائي، من غزل، ومدح،
ووصف وحكمة وعتاب واعتذار؛ بل إن ما قاله في غير الغزل يبلغ نصف ما قاله في الغزل
تقريباً، وسأتناول في الصفحات الآتية الحديث عن هذه الألوان الشعرية المختلفة.

(1) يتيمة الدهر 2/ 132.

(2) وفيات الأعيان 5/ 376.

المديح

كان المديح من أهم الأغراض التي تناولها الخبزارزي في شعره، وتبدو شاعريته واضحة تماماً في هذا الغرض؛ فقد بذل ما في استطاعته من تجويد ومقدرة، ولا عجب في ذلك؛ فقد كان المديح هو المحك الذي يكشف معدن الشاعر ويعرّي جوهره، والامتحان الذي يقدم من خلاله ثمرة موهبته، وحصاد شاعريته، فقد كان هذا الفن يجري فيه فرسان الشعر جميعاً، وكان من اليسير على جمهرة المعجبين بالشعر والشعراء، أن يميزوا الشعر الأصيل المتمكن من الشاعر الوسط⁽¹⁾.

وإذا نظرنا في قصائد المديح عند الخبزارزي وجدناه يجري مع الشعراء العباسيين في الخروج على المقدمة الطللية التي بدأ الشعراء الثورة عليها نتيجة تطور كبير حدث في مفهوم الشعر في القرن الثاني بتأثير عوامل مختلفة⁽²⁾ وهو لا يلتزم لونا واحداً من المقدمات؛ بل ينوع فيها؛ فقد يجعل افتتاحيات بعض قصائده إظهار مشاعره وأحاسيسه، كغيره من الشعراء العباسيين الذين كانوا يستغلون مقدمات هذه القصائد في إظهار مشاعرهم والتعبير عنها، لدرجة أنهم كانوا في بعض الأحيان يستغرقون أكثر القصائد في عرض مشاعرهم الذاتية⁽³⁾ ويرى الدكتور هذّاره⁽⁴⁾ أن سبب ذلك هو إحساس الشاعر ببعد قصائد المديح عن رغبته في التعبير عن نفسه وأحاسيسه.

ومن ذلك قوله في افتتاحية إحدى قصائده المدحية متشوقاً إلى الأحباب والجيران الذين أبعدهم عنه غربة البعد والفراق:

شاقني الأهل لم تُشَقِّنِي الديارُ

والهوى صائرٌ إلى حيث صاروا

(1) الشعر والشعراء في العصر العباسي ص 238.

(2) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص 154.

(3) نفسه ص 372.

(4) نفسه ص 372.

جيرة فرقتهم غربة البيـ

ن وبين الجوى وذاك الجوارُ

ليس تنسى تلك القلوب عهداً

كدبتها يوم النوى أنصارُ

أنت تذرني أن الهوى ليس يخلو

طعمه أو يكون فيه مرارُ

فأناس رَعَوْا لنا حين غابوا

وأناس حقوَقهم خضارُ

عَرَضُوا ثمَّ أَعْرَضُوا واستمالوا

ثمَّ مَالُوا وَجَاوَزُوا ثمَّ جَارُوا⁽¹⁾

ومثل ذلك قصيدته في مدح أحد كبار رجالات البصرة التي يبدوها بالشكوى من

الدهر وذم الزمان:

الدَّهْرُ بؤْسٌ لِلْأَنَامِ وَزَيْفٌ

ولصرفه بين الورى ئصريف⁽²⁾

وقد يختار النسيب، كما في قصيدته اللامية التي مدح بها البريدي وفيها يقدم صوراً

جميلة في وصف النساء دون أن يقيّد نفسه بالحديث عن امرأة معينة:

إِقْبَالِهِنَّ بِشَارَةِ الْإِقْبَالِ

وحضورهنَّ حضورٌ حسنِ الحالِ

هُنَّ الْغَوَانِي بِالْجَمَالِ عَنِ الْخَلَى

فجمالهنَّ يفوقُ خلِّي الحالِ

أَنْفَامُهُنَّ لِنَاطَلِيْقَةٍ نَعْمَةٍ

موصولة بمقدماتٍ وصَالِ

شِبْنِ الْمَلَاَحَةِ بِالذَّلَالِ وَأَشْرِبَتْ

بِقُلُوبِهِنَّ خَلَاوَةَ الْإِذْلَالِ

(1) ديوانه ص 111.

(2) نفسه ص 237.

دَلُّ الْمَسِيرِ بِطَرَفِهِنَّ وَفَوْقَهُ

عَقْدُ الْحَوَاجِبِ فِيهِ تِيَةُ الْعَالِي

وَإِذَا اهْتَزَزَتْ لَنَا تَهْزُ قُلُوبُنَا

هَيْفُ الْخُضُورِ وَرُجُحُ الْأَكْفَالِ

يُشْتَفَى الْغَلِيلُ بِأَنْسِيهِنَّ كَمَثَلِ مَا

يُشْتَفَى الْعِطَاشُ بِبَارِدِ السَّلْسَالِ⁽¹⁾

وهو يدمج في هذه المقدمة الحديث عن الخمرة، والغزل بالمذكر، ثم يتقل بعد ذلك

لوصف الممدوح.

وقد يبدأ قصيدته المدحية بذكر وداع الحبيبة كما في قصيدته الرائية:

بَدَتْ لَوْدَاعِ وَالتَّجَمَّلُ سَتَرُهَا فَزَالَ لِإِشْفَاقِ التَّفَرِّقِ مَجْرُهَا

ضِيَاءُ كَانَ الصَّبْحَ يَجْلُوهُ وَجْهَهَا لَنَا وَكَأَنَّ اللَّيْلَ يُذْجِيهِ شَعْرُهَا⁽²⁾

وقد يبدوها بالشكوى من فراق الحبيب، ثم الفرحة بلقائه بعد ذلك كما في قصيدته

الميمية:

رِيحُ شَوْقٍ لِلْبَيْنِ كَانَتْ سَمُومًا

ثُمَّ عَادَتْ عِنْدَ اللَّقَاءِ نُسِيمًا

فَهِيَ بِالْأَمْسِ نَارُ صَالِحٍ كَانَتْ

وَهِيَ الْيَوْمَ نَارُ إِبْرَاهِيمَا

مَا أَمْرُ الْخُرُوجِ عَنْ بَلَدٍ فِيهَا الْحَيِّبُ وَمَا الدُّ الْقُدُومَا⁽³⁾

وهو لا يتخرج من أن يبدأ بغض قصائده بالغزل بالمذكر كما في قصيدته الميمية التي

يمدح بها شخصاً يسمى أبا عمر:

(1) ديوانه ص 305.

(2) نفسه ص 124.

(3) ديوانه ص 322.

وعذب المَقْبَل والمَبْتَسَم لذيذ المِراشِف والمَلْتَسَم⁽¹⁾

ومثل ذلك قصيدته البائية التي يمدح بها أحمد بن علي وقصيدته الدالية التي يمدح بها أمير البصرة.

وقد يختار التهئة، كما في قصيدته التي يمدح بها ابن يزداد إذ بدأها بتهئة الأمير بالسنة الجديدة، يقول، متلاعباً بالألفاظ:

سنة يَزَادُ بها الأميرُ جَمالاً إقبالُها يُنمي لَكَ الإقبالاً
سنةٌ وأَسْبوغُ وشهرٌ كُلُّها جُددٌ تَجِدُّ النُّعماءَ ونوالاً
حَوْلَ يَحُولِ اللهُ يَقْضي بالذي أمْلئهُ ويزيدُ حالكَ حالاً
عامٌ يعمُّ لَكَ السُّرورُ ولا نرى في نِعمَةٍ خَلَّاءٍ ولا إخلالاً
يا مَنْ أَمَلْ لهُ هِلالٌ طالِعٌ

لا زالَ وجهُكَ للسَّعودِ هِلالاً⁽²⁾

ومثل قصيدته اللامية التي مدح بها أيضاً الأمير ابن يزداد ومطلعها:

إقبالُ عامٍ بِشُكرِ الخيرِ مقبولٌ

عند الأمير لعيد البرِّ موصول⁽³⁾

وبعد أن يهنئ الأمير بعيد النيروز الذي صادف وقوعه يوم الجمعة، فأصبح العيد عيدين، يدمج وصف الطبيعة والربيع، ويستغله - بذكاء - فيجعلهما من العناصر الرئيسة للممدوح، وقد كان هذا الوصف للمناظر الطبيعية الجميلة وقت الربيع وسيلة بارعة للوصول إلى مدح الأمير:

(1) نفسه ص 310.

(2) ديوانه ص 290.

(3) نفسه ص 286.

لَقَدْ تَزَيَّنَتْ الدُّنْيَا بِزُخْرِفِهَا فَالرَّوْضُ قَدْ مُثِّلَتْ فِيهِ التَّمَاثِيلُ
فَالغَيْمُ يَبْكِي إِذَا مَا الرَّوْضُ ضَا حَكُهُ
يَوْمٌ لَهُ زَقَّتِ الدُّنْيَا عَرَائِسَهَا
يَعْمَمَانِ بِشَيْءٍ مِنْ جَوَاهِرِهَا
هَذَا الرَّيِّعُ مِنَ الْجَنَّاتِ مُسْتَرْقٍ
فَفِيهِ مِنْهُنَّ تَمَثِيلٌ وَتَمَثِيلٌ⁽¹⁾

وينتقل بعد ذلك بالفاظ غاية في الجودة والعدوبة إلى المقارنة بين الورود وبين وجنة الحبيب:

فَالْوَرْدُ مِنْ وَجَنَةِ الْمَعشُوقِ صَنَعْتُهُ وَالطَّيِّبُ مِنْ نَكْهَةِ الْمَعشُوقِ مَعْلُوقُ
وَرْدُ الْحَبِيبِ مَصُونٌ لَيْسَ يَقْطُقُهُ إِلَّا الْعَيُونُ وَوَرْدُ الرَّوْضِ مَبْذُولُ
ثُمَّ يَنْهِي مَقْدَمَتَهُ بِوَصْفِ الْجَوْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ؛ فَهُوَ مُعْتَدِلٌ لَا حَرٌّ وَلَا بَرْدٌ:
أَمَّا النَّهَارُ فَلَا حَرٌّ وَلَا خَصَرٌ وَاللَّيْلُ لَا قِصَرٌ فِيهِ وَلَا طَوِيلُ
فَلَا طَلَائِعُ جَيْشِ الْقَيْظِ طَالَعَةٌ

كَذَاكَ سَائِقُ جَيْشِ الْقَرِّ مَغْلُوقُ
والحقيقة أن وصف الطبيعة والربيع في قصيدة المديح عند الخبزأرزي: يذكرنا بقصيدة البحري في مديح الهيثم بن عثمان الغنوي التي كان وصف الطبيعة فيها جزءاً من صيغة المديح وصلب كيانه، كما يقول الدكتور مصطفى الشكعة⁽²⁾. ويذكرنا - كذلك - بقصيدة أبي تمام في مديح المعتصم⁽³⁾.

(1) ديوانه ص 286.

(2) الشعر والشعراء في العصر العباسي ص 713.

(3) ديوان أبي تمام 2 / 71.

وقد يختار الندم على ما كان منه في شبابه، ثم توبته بعد شيبه وكهولته، ويتحدث من خلال ذلك عن نظرات صائبة في الحياة أوحى إليه بها تجاربه؛ كما في قصيدته اللامية التي يمدح بها القاضي التنوخي:

أعاذلُ حَسْبُ المرءِ بالشيبِ عاذلاً وأفحش جهلٍ أن يُرى الكهل جاثلاً
أعاذلُ قد أفضيتُ في اللّهُو والصُّبا طويلاً فلم يكسبني اللّهُو طائلاً
أكلتُ ثمارَ الدَّهرِ والدَّهرُ أكَلَ حياتي وأغضبتُ الذي ليس عاثلاً
وما الوقت إلا كالمودعِ إثمًا نراه بما فيه من الحال زائلاً⁽¹⁾

ثم يعود إلى نفسه، ويتذكر ما كان له من صولات وجولات في شبابه، وكأن هذه الأبيات حديث ذاتي يتحدث بها إلى نفسه، والنفس البشرية صارت ميداناً لدراسة الشعراء وملاحظاتهم، ملاحظة ظهرت في إنتاجهم الأدبي على نحو لم يعهده الأوائل ولم يفكروا فيه، فبعد أن كانت الأزمة عند القدامى في الماء والمرعى، أو هكذا كانوا يعتقدون على الأقل، صارت عند المحدثين في النفوس والصدور⁽²⁾.

ومن كل ذلك نرى أن الخبز أرزي لم يسِرْ على وتيرة واحدة في مقدمة قصائده المدحية، إنما كان ينوع فيها؛ ولكننا - على أية حال - لم نجد فيها قصيدة واحدة تبدأ بذكر الأطلال، وقد كانت هذه المقدمات تطول أو تقصر حسب الحالة النفسية للشاعر، فقد تكون خمسة أبيات وقد تصل إلى أربعة وعشرين بيتاً.

وإذا تركنا مقدمات قصائده المدحية، وانتقلنا إلى قصائد المديح نفسها؛ فإننا نرى أنه يتمثل المعاني العريية المتوارثة كالكرم والشجاعة والعفة، يقول أبو الفرج قدامة⁽³⁾ إنه لما كانت فضائل الناس من حيث إنهم أناس، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان على ما عليه أهل الألباب، من الاتفاق في ذلك، إنما هي: العقل، والشجاعة، والعدل، والعفة؛ كان القاصد لمدح الرجال بهذه الأربع الخصال مصيباً، والمادح بغيرها

(1) ديوانه ص 292.

(2) الشعر العربي بين الجمود والتطور ص 131.

(3) نقد الشعر ص 96.

مخطئاً. وقد يجوز في ذلك أن يقصد الشاعر للمدح منها البعض والإغراق فيه، دون البعض، مثل أن يصف الشاعر إنساناً بالجود الذي هو أحد أقسام العدل وحده فيغرق فيه، ويتفنن في معانيه... فنراه يمدح الأمير ابن يزداد بالكرم والشجاعة؛ فيقول:

وَكَمْ يَبْذُلُ النَّدَى أَحْيَا الْحَامِدَ أَوْ

فَكَمْ بَرَّغَمَ الْعِدَى أَرْدَى الصَّنَادِيدَا⁽¹⁾

ويبالغ في قصيدة أخرى بمدحه بالكرم والشجاعة:

إِحْسَانُهُ عَمَّ أَهْلَ الشَّرْقِ كُلَّهُمْ

فَرَبْعُهُ أَبَدًا بِالشُّكْرِ مَأْمُولُ

إِلَيْهِ أَقْبَلْتُ الْأَمَالَ أَجْمَعُهَا

تَصْدَى فَمَا غَيْرُهُ فِي النَّاسِ مَأْمُولُ

لَوْ عُدَّ فِي الْخَلْقِ مَنْ يُعْدَى بِنِعْمَتِهِ

مَا كَانَ يَرْوِيهِمْ جَيْحَانُ وَالتَّيْلُ

يُغْنِي وَرَأْيِي عَلَى التَّوْفِيقِ مَذْلُولُ

لَهُ دَلَائِلُ إِقْبَالٍ يُوَافِقُهَا

وَالْحَاسِبُ الشَّهْمُ لَا تَجْرِي أَنَامِلُهُ

بِحَسَبِ مَا أَنْتَ مَشْكُورٌ وَمَسْتَوْلُ

لَمْ يَبْقَ طَاغٍ وَبَاغٍ لَمْ يَمْسُهَا

مِنْ بَسْطِ كَفَيْكَ تَنْكِيلٌ وَتَنْوِيلُ⁽²⁾

ومثل هذا نجده في قصيدة فائية:

(1) ديوانه ص 65.

(2) ديوانه ص 287.

يُثْمِيهِ صَبِيَّةٌ أَسَدٌ حَرْبٍ مَا لَهُمْ
إِلَّا الْقَوَاضِبُ وَالرُّمَاحُ عَرِيفُ
يَمْشُونَ فِي الْحَلَقِ الْحَصِيفِ وَتَحْتَهُمْ
لَوْ أَنَّهُمْ عَدِمُوا السِّيُوفَ تَحَدَّرَتْ
عِزَمَاتُهُمْ فِي السَّرُوعِ وَهِيَ سِيُوفُ
تُجْرِي النَّدَى بِجَرَى الدِّمَاءِ أَكْفُهُمْ
فَهُمْ حَيَاةٌ لِلوَرَى وَحُثُوفُ
لَتَرَوْضُهُ يَوْمَ الْعَطَافِ أَلُوفُ
يَقْسُو وَيَعْتَفُ فِي الْحُرُوبِ وَشَأْنُهُ

فِي السَّلَامِ، بَرٌّ بِالْأَنْسَامِ رَعُوفٌ⁽¹⁾

فرجال هذا الممدوح مدججون بالسلاح من سيوف ورماح، وحتى لو عديموا السلاح فشجاعتهم وقت الحروب تغني، وهم في وقت الحرب شجاعة وموت، أما وقت السلم فرفافة وحياة.

ويضيف الخبزارزي إلى هذه المعاني المتوارثة، معاني أخرى، وهي معاني إسلامية محضة، ولا شك أن هذه المعاني الإسلامية قد دخلت إلى شعر المديح منذ القرن الأول الهجري؛ فشعر المديح منذ ظهور الإسلام قد بدأ يهتم بالفضائل المعنوية أكثر من اهتمامه بالفضائل الحسية، كالبسطة في الجسم وتألق الوجه وما إلى ذلك، وقد ازدهر هذا الميل إلى الناحية المعنوية مع اتساع آفاق الثقافة وانتشار العلوم الفلسفية وما إليها⁽²⁾ فعندما يمدح الأمير ابن يزداد فإنه يبرز لنا هذه الفضائل المعنوية، كالإحسان والتقوى والرحمة، في أبيات جميلة الأسلوب فيقول:

(1) ديوانه ص 237. (2) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص 371

فالحمد لله إذ أرغى رعيته
أما القلوب فقد ألفت بأجمعها
لا غرو إن كان كل الناس حامدة
الله سل به سيف المهابة للث
كم سربت رُحماء الناس رَحْمَةً

من ليس إحصائه في الناس مجحودا
إلى الأمير ابن يزداد المقلدا
من لم يزل مُحسِناً لا زال محمودا
تقوى وأصبح سيف البغي معمودا
وكم تجرد فيمن كان مردودا⁽¹⁾

وقد مضى الخبز أرزي يضيفي على ممدوحه هذه المعاني الإسلامية والمثالية الخلقية
كالعدل، وحسن الرأي، وإحياء الأخلاق الحميدة ونشرها بين الناس، وتأليف قلوب رعيته
ورعايتها على أكمل وجه.

يقسو ويرحم إملحاً بذاك وذا

فيسط الغدال لي بأساً وتُسديدا
ويُبرم الأمر تقريباً وتُبعيدا
أويت كل رجاء كان مطرودا
فأنت توجِدُ فضلاً كان مفقودا
باللطف منك وقد كانت عناديدا

يقلب الرأي تصويبا وتصعيدا
يا من له عند كل الناس مكرمة
أحييت من كرم الأخلاق ميتها
ألفت بين قلوب الناس فائتلفت

(1) ديوانه ص 65 وما بعدها.

أنتَ المباركُ والميمونُ طَلْعَةُ

تُرْعَى الرَّعِيَّةُ تَوْفِيقاً وَتُسَنِّدُ⁽¹⁾

وَيُصِفُهُ فِي قَصِيدَةٍ أُخْرَى بِأَنَّهُ يَقُومُ بِخِدْمَةِ تَقْوَى اللَّهِ: ⁽²⁾

أَقْبَلْتُ تَخْدُمُ تَقْوَى اللَّهِ مَجْتَهِداً فَصِرْتُ بِالْيَمْنِ وَالْإِقْبَالِ مَخْدوماً
وَيَمْدَحُهُ فِي الْقَصِيدَةِ نَفْسُهَا بِعَصْمَةِ الدُّنْيَا وَالِدِينِ:

يَا عَصْمَةَ الدِّينِ وَالِدُنْيَا وَزَيْتَهَا لَا زِلْتُ مِنْ نَكَبَاتِ الدَّهْرِ مَعْصوماً
وَبِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ:

عَدْلُ الْأَمِيرِ وَإِحْسَانُ الْأَمِيرُهُمَا رَدَا الزَّمَانَ عَنِ الْأَحْرَارِ مَخْصوماً
وَهُوَ يَحْرُصُ عَلَى مَدْحِ مَمْدُوحِيهِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْمَعَانِي الْإِسْلَامِيَّةِ السَّامِيَّةِ.

ويضيف الخبزارزي إلى مدائحه بالمثالية الخلقية العربية والفضائل الإسلامية، مدائح أخرى تتصل بوظيفة الممدوح وعمله ملائماً بين هذه الصفات والممدوحين إذ لم يكن من المعقول أن يمدح أحد كتاب الوزراء أو كتاب الدواوين مثلاً بالشجاعة والبطولة وإن أمكن مدحه بالجود والكرم، بل المعقول أن يمدح بالفطنة والحصافة وبعد النظر وبراعة القول وما أشبه، مما يتعلق بطبيعة عمله، وهذه معان جديدة كان لا بد أن تدخل مجال المدح⁽³⁾ فعندما يمدح أبا القاسم التنوخي - وكان قاضياً فإنه يمدحه بصفات تتناسب ووظيفة القضاء، كالإنصاف والعدل ورفع الظلم:

جَلَا ظُلُمَاتِ الظُّلَمِ نَوْرُ قَضَائِهِ فَصِيرَ شَمْلَ الْعَدْلِ فِي النَّاسِ شَامِلاً
إِذَا مَا قَضَايَاهُ تُخَلِّلُنْ ظُلْمَةً تَوْقُذُنْ أَوْ يُخَسِّبُنْ فِيهَا قَنَادِلاً
وَالرَّأْيَ الثَّاقِبَ وَكَمَالَ الْعَقْلِ:
إِذَا مَا رَأَى اللَّهُ خَيْراً لِمَغْشَرِ

تَوَلَّى عَلَيْهِمُ ثَاقِبَ الرَّأْيِ عَاقِلاً

(1) نفسه.

(2) ديوانه ص 320.

(3) في الأدب العباسي ص 360.

ويمدحه كذلك بأنه يملك بمنطقه فصل الخطاب، ويخوض به لجة العلم، ويحكم بما
جاءت به آيات الله:

أَظْلُ عَلَى فَصْلِ الْخَطَابِ يَمْتَنِقُ

إذا جَدَّ في المعنى أصاب المقاتلا

ويفصل بالحق المبين المقابلا

تعبَّد الفاظ الإله بلفظه

فيشفي قلوب السائلين مجاباً

كما يختم الأفوّة إن كان سائلا

يخوض بلج العلم غير مُشمر

عن الساق حتى يخسب اللج سائلا

ويمدحه - كذلك - بسرعة الإدراك والنباهة والذكاء ونصرة الحق:

ويبداهم بالمشكلات مقابلا

ويدرك ما قالوا جميعاً فجاءة

إذا هو حاجي ذا الحجى نصر الهدى

وأنت تراه مرشداً لا مُحَايلاً⁽¹⁾

وعندما يمدح أحمد بن عليّ وكان كاتباً؛ فإنه يصفه بأنه رئيس البلاغة والكتابة وأنه

بذلك يشرف الكتاب:

وامدح رئيس بلاغة وكتابة زان الأولة وشرف الكتابا

ويمدحه بأن له قريحة نورية وبأنه لا يخلف وعده:

وقريحة نورية لو جسّمت كانت لأقراط الذكاء شهابا

ومواعداً لك يتجزن تتابعاً إذ وعد غيرك يستحيل ثراباً⁽²⁾

وعندما يمدح ابن يزداد، وكان أميراً على البصرة، فإنه يمدحه بالعدل وردّ الظلمات

عن المظلومين، وهو في ذلك لا يخاف لومة لائم لأنه يحكم شرع الله وتقواه:

(1) ديوانه ص 292 وما بعدها.

(2) نفسه ص 29.

رَحَزْتُ عَنْ كُلِّ مَظْلُومٍ ظِلَامَتَهُ

فَصَارَ مُلْكُكَ لِلرَّاجِينَ مَظْلُومًا

فَحِينَ حَكَّمْتَ فِي الدُّنْيَا وَزُخْرَفَهَا

حَكَّمْتَ دِينَكَ فِي دُنْيَاكَ تَحْكِيمًا⁽¹⁾

ولعلَّ شاعرنا كان يجري في ذلك مجرى الشعراء العباسيين الذين كانوا يلائمون بين مدائحهم وممدوحيهـم، وقد لاحظ ابن رشيـق⁽²⁾ هذا التطور الذي أصاب قصيدة المديح فذكر أنه ينبغي أن يكون قصد الشاعر في مدح الكاتب والوزير ما ناسب حسن الروية، وسرعة الخاطر بالصواب، وشدة الحزم، وقلة الغفلة، وجودة النظر للخليفة والنيابة عنه في المعضلات بالرأي أو بالذات، وبأنه محمود السيرة، حسن السياسة، لطيف الحس، فإن أضاف إلى ذلك البلاغة والخط، والتفنن في العلم؛ كان غاية.

وأفضل ما مدح به القائد: الجود، والشجاعة، وما تفرع منهما، نحو التخرق في الهيئات، والإفراط في النجدة، وسرعة البطش، وما شاكل ذلك.

ويعمد القاضي بما ناسب العدل والإنصاف، وتقريب البعيد في الحق، وتباعد القريب، والأخذ للضعيف من القوي، والمساواة بين الفقير والغني، وانبساط الوجه، ولين الجانب، وقلة المبالاة في إقامة الحدود واستخراج الحقوق، فإن زاد إلى ذلك ذكر الورع، والتخرج، وما شاكلهما، فقد بلغ النهاية.

ويرجع الدكتور هذارة⁽³⁾ هذا التخصص في شعر المديح إلى تشعب الحياة الفكرية وتعقدتها.

ويسجل الخبزأرزي في مدائحه للأمراء والولاة الأحداث التي تحدث في عهودهم، وأعمالهم التي قاموا بها، فنراه يذكر إخماد ابن يزيد للفتن التي كانت بالبصرة، وكيف أنه ردَّ إليها الأمن والأمان:

(1) نفسه ص 320.

(2) العمدة 2/ 134.

(3) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص 370.

هذا ابن يزداد الذي أيامه
للْبَصْرَةِ الفَوْزُ العَظِيمُ فأمَّثَها
مَهْدَتَها بِالرَّفَقِ مِنْكَ وَطالَما
فَاللَّهُ وَقَّاهُمْ بَيْتَكَ وَاتَّقُوا

كَسَتْ البِلادَ بِشاشَةٍ وَجَمالاً
عَمَرَ البَقاعَ وَثُمَّراً الأَمْوالاً
بِالْحَرَقِ زُلْزِلَ أَهْلُها زِلْزالاً
وَاللَّهُ بَلَّغَهُمْ بِكَ الأَمالاً⁽¹⁾

ويكرر هذه المعاني في قصيدة أخرى ميمية؛ فيصف البصرة بأنها إقليم الشقاق ولكن ابن يزداد، بمقدرته وعدله وحزمه وإحسانه جعلها إقليماً متآلفاً:

صارت بك البصرة المأوى وقد غُنِيَتْ

وصار مغنوها في الناس مغنوما
عهدي بها وهي إقليم الشقاق فَقَدْ

صَيَّرَها أَنْتَ لِلتَّالِفِ إقْلِماً
فَزادَكَ اللَّهُ تَمَكِيناً وَمَقْدِرَةً

وزاد أنف الذي عاداك ترغيماً⁽²⁾

ويؤرخ لنا في شعره تولي البريديين مدينة البصرة ويصفهم بالكرم والشجاعة:

غَرَّ البَرِيدِينَ أَحْسَنُ مَنْظَرًا

لِلنَّاسِ فِيهِ حَدائِقُ الأَمالِ
إِقْبالِ دولتهم على كل الورى

مَتَّابِعُ بَفَوائِدِ الإِقْبالِ
قَدْ كادت الأرزاق تقفلُ فانبَرتْ

بِرِكاتِهِمْ بِمَفاتِحِ الأَقْفالِ
وَهُمُ الثَّلاثَةُ شَبَّ فِيهِمْ رابِعٌ

مِنْ ذِي المَعالي وهو جدُّ عالٍ

(1) ديوانه ص 290.

(2) نفسه ص 320.

أيامكم في العالمين كأنها

مِنْ حُسْنِهَا مصقولة بصقال

عظمت كفايتكم وجلّ عناؤكم

فيكم تسير سوائر الأمثال⁽¹⁾

وخصيصة واضحة في مدح الخبز أرزي، وهي أنه كان يستغل اسم الممدوح ويشق

منه بعض المعاني الخاصة بالمديح؛ مثل قوله في مدح أبي القاسم علي بن محمد التنوخي:

قَسَمْتُ العطايا إِذْ كُنَيْتَ بِقاسمٍ لَأَنَّكَ تُكْنَى بالذي ظَلَمْتَ فاعلا

لعمري لئن سَمَى أباك مُحَمَّداً وأنتَ علياً قد أصابَ السَّوائلا

هُما اسَمانِ شَقاً مِنْ عَلاٍّ وعَمايدٍ رَأَوْا فيكما منها قديماً غَايلا⁽²⁾

ومثل قوله في قصيدة لامية يمدح بها أبا الحسن محمد بن يزداد:

صَدَقَ الذي سَمَى الأميرَ مُحَمَّدًا فهو المَحْمَدُ سيرةً وخصالا

هذا أبو حسن الذي إحسانه رَدُّ الأَجاجِ مِنَ الحياةِ زلالا⁽³⁾

ومثل قوله في قصيدة ميمية يمدح شخصاً يسمى أبا عمر:

أبا عَمَرَ عَمِرْتَ ساحتاك يَغوثُ اللطيفِ ورعي السَتمِ

ونلاحظ أنه في مدحه للممدوح لا ينسى أبناء الممدوح فيشير إليهم من خلال مدحه

للممدوح كما في قصيدته الميمية السابقة؛ إذ يقول:

فَرَفِدُكَ جَارٍ عَلَى مَنْ أَقامَ ويَسْرُكُ زادَ لِمَنْ لَمْ يَقُمْ

وفي ابنك جُودٌ وثَوفيقُه لِيَبْلُوَ أباهُ عَلَى ما رَسَمَ⁽⁴⁾

(1) ديوانه ص 305.

(2) نفسه 295.

(3) نفسه ص 290.

(4) ديوانه ص 311 وما بعدها.

ومدائحه كانت مجالاً كبيراً لبث أحزانه وهمومه من مثل شكواه للأمير ابن يزداد الذي يبدو أنه كان قد وعده شيئاً ولكن الكاتب أخذ يماطل في تنفيذ طلب الأمير، وقد شك الخبزارزي في أن الأمير هو الذي أبطل ما كان قد رسمه له؛ فيقول مخاطباً الأمير:

إنني لأكتم حاجاتٍ ستثقلني
ما حيلة العبد في إذكار سيده
بيننا أومل أن ازداد نافلة
والموت أجمل بالإنسان منزلة
لم أخّر الكاتب الإنجاز موعدي
ثم يقول:

لكن أرى المَطْل داء في تطاوله
هل غير إحسانٍ فعلٍ أو إساءته
لا خير في القول معسولاً مذاقته
لا بُد من نفثة المصدور ينفضها

وفي قصيدة رائية يشكو الحساد والواشين الذين وجهوا له كلاماً قاسياً وأشعاراً نارية؛ وهو يستجير بالمدوح لإبعاد هؤلاء الواشين الكائدين:

أيها السيد استجارت بك الآيـ
يا القوم هاجوا هدير القوافي
ورموني بأنهم عن قسيي
السُن صادفت مبادر غيث
سام واستنصرت بك الأشعار
وتصافوا إذ راعهم فيه نار
ما لها من حقيقة أوتار
بهتوا غيبي يهتسان زور
فجبرت وهي في الخطام آبار
عن قعودي فالزور فيه ازورار⁽²⁾

(1) نفسه ص 320.

(2) ديوانه ص 111.

